



# البدوية

إبراهيم رمزي



# البدوية

تأليف  
إبراهيم رمزي



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

بورك هاوس، شبيت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تلفون: + ٤٤ ( ٠ ) ١٧٥٣ ٨٢٢٥٢٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: محمد الطوبجي

التقديم الدولي: ٦ ٩٥٨ ١ ٥٢٧٣ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٢٢.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: تَسْبُبُ المُصَنَّفِ، الإصدار ٤٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة لملكية العامة.

# المحتويات

٧	الإهداء
٩	أشخاص الرواية
١١	الفصل الأول
٣٩	الفصل الثاني
٦١	الفصل الثالث



## الإهداء

إلى العلامة الأمثل والأديب الأجل<sup>١</sup>، زينة شباب مصر، وعمدة رجال العصر، حضرة صاحب العزة الأستاذ الدكتور عبد الحميد بدوي بك سكرتير مجلس الوزراء.

إنك لعاذري إذ أهدي إليك روايتي هذه غير مستأذن لها عليك، بيد أنني تمنيت لروايتي الخلود فتوّجتها باسمك الكريم؛ ليذكرها التاريخ كلما ذكر الألّاعي الحكيم، ولن تأخذني بجريتي هذى، وإن لم تكن روايتي مما يجمل أن يُهدى إلى أدبك الأرفع، فإنك داعٍ في حياتك النبيلة الحافلة بالعظيمات إلى أن يكون كل ما نقتبسه عن الغرب موطنًا يستحيل وضعًا من أوضاعنا القومية البحتة. وإذا كنت أستشعر هذا المبدأ العالي — على قدرى — فقد عملت على تحقيقه منذ اتصلت بعالم الأدب التمثيلي، الذي لم يكن لمصري فيه قبلى نصيب، وكذلك انصرفت عن الترجمة والتعريب إلى التأليف، ووضعت للمرزح المصري — على قدرى أيضًا — قطعًا عربيةً مصريةً، ومصريةً عصريةً، ومن تلك رواية البدوية هذه التي تمت إليك باسمها، وبروح تأليفها، فقد ناديت ليلة مُتّلّت لأول مرة في دار الأوبرا السلطانية حين تفضل الجمهور الكريم بتحية تشجيع للمؤلف: «إنى أريد للتمثيل المصري استقلالاً عن الغرب، برواياته وكتابه، كما ي يريد كل مصرى منا الاستقلال التام في كل منحي من مناحي الحياة». وهو ما تدعوه إليه بلسائك، وتتجدد في تحقيقه بأعمالك، في نطاق أوسع وأشمل بجهد جبار لا يكفى المشقة إلا نفسه الكبيرة، وحكمة عبقرى له في الغيب عين بصيرة. من أجل هذا وذاك، لم أتردد في إهدائهما إليك، وإلهاقها بساحتك، وثوّقاً باريحاك إلى جهدي وإن قل؛ إذ يبشرك بمستقبل أَجَلٌ، حين تتجه همتك

البدوية

العالية إلى التمثيل وأدبه، فتُقيِّم ركن استقلاله فيما تُقيِّم اليوم من صروح  
للوطن العزيز، والله يحفظك للمخلص.

إبراهيم رمزي

مصر الجديدة في ١٠ مايو سنة ١٩٢٢

## أشخاص الرواية

ال الخليفة الأَمْر بِأَحْكَامِ اللهِ: مُلْكُ مصر.

أَبُو عَلِيٍّ: رَفِيقُ الْخَلِيفَةِ.

أَسَامِةُ: أَبُو الْبَدْوِيَّةِ.

حَسَنُ بْنُ مَيَّاْحٍ: خَاطِبُ الْبَدْوِيَّةِ وَابْنُ عَمِّهَا.

زَيَادٌ: عَبْدُ أَسَامَةَ.

أَحَدُ الْمَعِيدِيْنِ: مَصْرِيٌّ.

مَعِيدُ آخِرٍ: قَاهِريٌّ.

الْبَدْوِيَّةُ: بَنْتُ أَسَامَةَ وَمُخْطُوبَةُ ابْنِ عَمِّهَا.

رِيَطَةُ: أُمُّ الْأَمِيرِ حَسَنِ بْنِ نِزارٍ.

نَاعِسَةُ: أَخْتُ ابْنِ مَيَّاْحٍ.

فَاطِمَةُ الْمَغْنِيَّةُ: مَصْرِيَّةُ مِنَ الْعَوَامِ.

عَرَبٌ، وَجَنْدٌ، وَنِسَاءُ قَاهِرِيَّاتٍ وَمَصْرِيَّاتٍ، وَمَغْنِيَّاتٍ، وَطَبَالَةٌ، وَزَمَارَةٌ، وَرِقَاقَةٌ، وَنَافِخٌ فِي

الْأَرْغُولِ ... وَإِلْخٍ.

الْعَهْدُ: الْقَرْنُ الثَّانِي عَشَرُ الْمِيلَادِيِّ.

أَفْتَ هَذِهِ الرَّوَايَةَ فِي مَارْسِ سَنَةِ ١٩١٨، وَمِنْتَهَا فَرْقَةُ الْأَسْتَاذِ رَشْدِيِّ فِي الْأَقْبَالِيْمِ، ثُمَّ فِي

الْقَاهِرَةِ يَوْمَ عِيدِ النِّيُورُوزِ، وَفِي الْأَوْبَرِ فِي ٦ فَبْرَايرِ سَنَةِ ١٩١٩.



# الفصل الأول

الوقت عشي قبل المغرب

يُكَشِّفُ الستار عن وصyd خيَمةً أَعْرَابِيَّ قد فرشَ أَمَامَهَا بساطَ (كليم) مَقْلَم، جَلَسَتْ عَلَيْهِ أَمِيمَةُ الْبَدُوِيَّةِ، وَأَمَامَهَا نُولٌ نَصَبَتْ عَلَيْهِ شَالًا وَهِيَ تَطَرَّزُ. وَالشَّالُ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ، وَإِذَا تَفَحَّصَهَا النَّاظِرُ وَجَدَهَا مُشْتَغَلَةً بِالْفَكْرِ، مُخْتَلِّةً بِاللبِّ، قُوَّيَّةً بِالنَّفْسِ، مُلِئَتْ صَرَاحَةً وَثِباتًا. أَمَّا هِيَ فَعِينَهَا بِرَاقَةً قُوَّيَّةً بِالنَّظَرَةِ، ذَاتِ رَمْشٍ أَسْوَد طَوِيلِ الشِّعْرِ، يَظْلِمُ خَدًّا أَبْيَضَ مُشَرِّبًا بِحُمْرَةِ وَرْدِيَّةِ سَاحِرَةٍ، إِلَى جَانِبِهِ أَنْفٌ صَغِيرٌ، حَادُ العَرَنِينِ دُونَهُ، فَمٌ مُثَلُّ فَمِ الْأَطْفَالِ، طَرِيءٌ نَدِيٌّ صَوْتُهَا فِي الْحَدِيثِ، بَيْنَ النِّبْرَةِ لِيَّ النَّغْمَةِ. أَمَّا مَلَابِسُهَا، فَغُطْفَةً زَرَقاءً، وَثُوبٌ أَسْوَدٌ بِهِ أَسْمَاطٌ مِنَ الْفَضَّةِ، وَفِي قَدْمِيهَا نُعلٌ بِقَبَالَيْنِ، يَعْلُوهُمَا خَلَالٌ مِنَ الْفَضَّةِ. وَعَلَى الْجَمْلَةِ، فَهِيَ فَتَاهَةٌ لَا تَمْتَازُ عَنْ مَثِيلَاتِهَا إِلَّا بِفَرْطِ جَمَالِهَا، وَشَدَّةِ سَحْرِهَا الْجَمَالِ.

الْبَدُوِيَّةُ (تَنْتَظِرُ فِي النُّولِ وَتَقْرَأُ):

نَعْمَةُ الْحُبِّ يَا حَبِيبَ فَؤَادِي      مَتْعَةٌ مِنْ نَعِيمِ جَنَّةِ عَدِينِ

فاحفظ الحب بالوفاء لتحظى بنعيم الفردوس في المتنزلين

أجل، أجل، سيكون هذا الشال مذكراً لابن مياح بمن تطرزه الآن إذا أبعدهه الأسفار  
عني، وحل عقاله عند الرقاد، لاح له البيتان فتذكرة. آه! متى تنقضي أشهر الشتاء حتى  
أُزف إليه وتسعد النفس بجواره ... لقد كان يزورني لا ينقطع عن داري حتى خطبني  
له أبوه، ليته لم يخطبني. وي ... كلا! إننا سنجتمع إن شاء الله ولا فراق (تسكت  
وتنظر في النول مدةً، ثم ترفع رأسها كمن سمع صوتاً وتنتظر هنا وهناك) من القادر يا  
ترى؟ إنهم لم يذهبوا إلى البايدية إلا منذ قليل (تنادي) زياد! (تنهض تدفع بالنول إلى  
جانب، وتنفض ملابسها، وتذهب صوب اليسار) زياد ... إنني سمعت وقع أقدام، أيكون  
أحد النور قد ألم علينا؟ (تنظر حذرة؛ فهي تمد عنقها كأنها تتسمع وبها شيء من  
الخوف، هنا تدخل ناعسة ابنة عم البدوية، وأخت ابن مياح، وهي فتاة عربية أكبر من  
البدوية سنًا ... يكون دخولها من اليمين من وراء البدوية على أطراف أصابعها قصدًا،  
فإذا التفتت البدوية ورأتها ذعرت، وأخذت تمسح صدرها بيديها، ثم وقفت يداها فوق  
ثديها، وهي تنتهد).

ناعسة: ها! ها! (تجري إليها تقبلها، وتحتضنها).

البدوية: ويحك ناعسة! لقد أفزعتني كافأك الله.

ناعسة: لا روع عليك! لا روع عليك! كيف حالك يا ابنة عمي؟

البدوية: بخير، وأنت؟

ناعسة: بخير والله الحمد، ما ظننت أنك وحيدة.

البدوية: لقد ذهبوا إلى البايدية جمِيعاً.

ناعسة: وأين صديقتك النورية؟

البدوية: من؟ ربيطة؟ لقد ذهبت إلى مصر منذ شهر.

ناعسة: ما علمت ذلك.

البدوية: كيف تعلمين عنها شيئاً، وقد انقطعت عننا مدة طويلة، ليس بين مخيمنا  
ومخيمنكم إلا مسافة ساعة، وي! ماذا جرى؟

ناعسة: معذرةً يا أميمة، إن أبي لم يعد يطيق أن يتولى له الطعام أحد سواي، وأنت تعلمين أن حكاية الطعام هذا لا تنتقطع، بالله خبريني لماذا خلقنا الله نأكل ونشرب؟

البدوية: وكيف كان يمكننا أن نعيش؟!

ناعسة: لا أدرى، لم تخبريني لماذا جاءت إليكم تلك التُّورية يا تُرى؟

البدوية: كيف؟! جاءت ضيفة.

ناعسة: أجل أجل ... ولكن عهدي بالنَّور لا يسيرون فُرادى.

البدوية: إنهم قوم فقراء يا ناعسة، وليس من مصلحة الفقير أن يستصحب فقيراً يغالبه على ما ينال.

ناعسة: نحن الفقراء لا هم؛ لأنهم يتسللون، ويسرقون، ويتجرون بأثمن الأشياء عند الناس، وأرخصها عليهم.

البدوية: وما هو هذا؟

ناعسة: العِرض.

البدوية: وي! يتاجرون بالأعراض؟!

ناعسة: أجل؛ يمرون بالقرى فإذا وجدوا ابنة سائمة غفل عنها أبوها، سرقوها، ثم ظلت معهم كواحدة منهم، حتى إذا كبرت عرفت أساميليهم، ولم تجد في ذلك غضاضة.

البدوية: أستعيد برب العالمين ... وهل تظنين أن ربطنا من هؤلاء؟

ناعسة: هذا الذي من أجله أردت أن أعرف شيئاً عنها؛ لأنني ما توهمت أنها منهم، إن بها شيئاً من العزة وكبر النفس، وإن كنت أراها أحياناً على شيء من الجرأة.

البدوية: ذلك لأنها كانت من جواري الخليفة المستنصر كما تقول.

ناعسة: كانت من جواري الخليفة المستنصر؟!

البدوية: سمعتها تقول إنها كانت في خدمة ابنه الأمير نزار، ثم هربت يوم نُكب.

ناعسة: نزار الذي حاربته قبيلتنا؟

البدوية: هل حاربت قبيلتنا أحداً من أولاد الخليفة المستنصر؟

ناعسة: كذلك سمعتهم يتحدثون.

البدوية: من أجل هذا كان أبي يجادل ربطنا ... وربطنا تقدح عينها شرراً، بل لقد قالت له يوماً من الأيام إنه نصر ظالماً على مظلوم، ودعت عليه بما فعل.

ناعسة: دعت عليه؟

البدوية: أجل، ولم تتحشم.

ناعسة: وماذا قال أبوك؟

البدوية: ضحك وانصرف، هل كان يستطيع أن يؤذني ضيفه؟!

ناعسة: كلا! ومع ذلك فإن لأمثال هؤلاء الناس دللاً على الرجال؛ لأنهم لما كانوا يعيشون عيشة الدعاارة لم يكن يُنتظَر منهم أن يتأدبو.

البدوية: صدقتِ، صدقتِ! بل لقد كان أبي يستطيع حديثها ويأنس بها، ولا يكاد يصبر عنها مع أنها امرأة مسنة.

ناعسة: مسنة؟ ... إن بها أثراً من الجمال تخفيه تحت ذلك الكحل الذي تكسو به وجهها عمداً ... لقد رأيتها يوماً وهي تغتسل قبل الرقاد، فرأيت وجهها أبيض كالقمر، نعم! إنها شريرة الطلعة والنظرية، ولكن الرجل ...

البدوية: خسيستِ يا ناعسة! أتعنين أن أبي ...

ناعسة: هاهاها! لا والله، ولكن ...

البدوية: ويحك ناعسة! لم يكن أبي يأنس بها إلا لأنها كانت تعرف من أخبار الدنيا ما لا يعرفه إلا أمثالها، ولا تبالي في حديثها بشيء مما تعارف عليه الناس من الآداب، وفي هذا فرجة للقلوب أحياناً.

ناعسة: أكنت تسمعين حديثها مع أبيك؟

البدوية: بعض الشيء، ولكني أعرف ذلك مما كانت تحدثني به هي.

ناعسة: كيف؟

البدوية: كانت تحدثني، ولا تتحشم، ولا تذكر أني عذراء.

ناعسة: كيف ذلك؟ بالله خبريني.

البدوية: لقد كانت تذكر لي سعادة الزوجين في خلوتهما ... أف ... دعيني!

ناعسة: ها، ها، وهل كان يسوءك هذا؟

البدوية: كلا، ولكني كنت أخجل، وهي لا ترحمني ... تتبعن ذلك مني فتضحك، وتقبلني، وتحتضنني.

## الفصل الأول

ناعسة: هاهاها! يا ليت أني ...

البدوية: أعود بالله منك يا ناعسة! أتررين ماذا قالت لي ليلة رحيلها؟

ناعسة: مازا؟

البدوية: قالت إنها ذاهبة إلى مصر، وسترقص للخليفة، ثم تذكرني له، وتغريه

بزواجي.

ناعسة: فبماذا أجبتها؟

البدوية: زجرتها ... بل لقد أهنتها؛ فقالت لي إنها تمزح معى.

ناعسة: أما والله لئن سمع بك الخليفة لرحل إليك يا أميمة.

البدوية: لا قدر الله ... لا قدر الله لم تُحِّيِّرِينِي؟ أجهت وحدك؟

ناعسة: أجل! أم زعمت أن يجيء معى ...؟

البدوية: دعي عنك هذا!

ناعسة: آه منك يا أميمة ... لقد أصبحت الآن تكتفين كل شيء.

البدوية: أنا؟ لا والله، ولكن ...

ناعسة: لم يعد بك حاجة إلى خطبك أخي وارتاح فؤادك، ولم يبق إلا ...

البدوية: ناعسة!

ناعسة: سأخبره أنك لم تعودي تسألين عنه، ولا تفكرين فيه.

البدوية: ما أقساك يا ناعسة! تعالى، تعالى اجلسي (تترك لها فضلة من الكليم)

انظري ما على النول.

ناعسة: مازا؟

البدوية: لقد أوشكت أن أنتهي من تطريز شال أخيك.

ناعسة: شال أخي! لا يزال أخي؟! لماذا لا تسمينه بغير هذا؟ أم يصعب عليك أن

تقولي شال عروسي؟!

البدوية: شال عروسي وسيدي، أيرضيك هذا؟

ناعسة: كلا!

البدوية: وي! لا يرضيك؟!

ناعسة: إنه يسعدني يا أختاه؛ لم تكن لي في حياتي أمنية أرجوتها إلا أن يجمع الله بينكما، وقد أجاب سؤلي، فالحمد لله على ذلك؛ لقد ذاب أخي غراماً بك ولوعدة، وأنت كم مسحت لك هذى الأكف دمعة، ما أسعدي اليوم يا أختاه!

(تقبّلها وتقبّلها البدوية.)

البدوية: شكرًا لك يا أختاه، شكرًا.

ناعسة: ماذا طرزت له؟

البدوية: اسمه المحبوب، اقرئي!

ناعسة (تقرأ): «حسين بن مياح» ما أسعده بك يا أميمة! وما أشد ازدهاءه بالشال فوق رأسه يوم تكونين له حقاً! سُيقال هذا عروس أميمة البدوية شاعرة الصعيد، وفخر بنى قريظة.

البدوية: شكرًا شكرًا، واقرئي هذا.

ناعسة: ما هذا أيضًا؟ بيتين من الشعر؟ لا عجب، إذا لم يكن شعرك لمن تحبين فلمن يكون؟!

البدوية: إن الشعراء يمدحون الملوك تحبباً ... ومن ملكي يا ناعسة من سلطاني؟ من خليفة أبي علي.

ناعسة: بل من سيد أبيك لديك (تنظر في النول)؟

البدوية: أنت وما ترين.

ناعسة: لا أستطيع قراءتها.

البدوية: كيف؟ أليس الخط واضحًا ... اسمعي (تقبض على النسيج، وتديره أربع مرات كلما انتهت من تلاوة شطر حولته عنها، وهنا يبدو ابن مياح، ولكن لا يتقدم، وإنما يأخذ ينظر ويستمع، وهو يكاد يذوب اغتاباً وشوقاً):

نعمـةـ الـحـبـ يـاـ حـبـيـبـ فـؤـادـيـ  
مـتـعـةـ مـنـ نـعـيمـ جـنـةـ عـدـنـ  
فـاحـفـظـ الـحـبـ بـالـلـوـفـاءـ لـتـحـظـىـ  
بـنـعـيمـ الـفـرـدـوـسـ فـيـ الـمـنـزـلـيـنـ

**ناعسة: أحسنت يا أميمة، أحسنت والله، أرنيها** (تقدم البدوية نولها إليها) **أجل** (تنتظر فيه) أعيديهما بالله عليك ... إن للشعر من فمك لحلوة ... يُخْيِلُ إِلَيْكُمْ أَنَّكُمْ لَا تَتَطَقَّنُ بَهْمًا إِلَّا بِفَوَادِكُمْ هَا، حسین! (وإذا بابن مياح قد دخل عليهما، فإذا تقدم غلبه شيء من القلق والرغبة في عناق البدوية، فيتقدم منها، حتى إذا التفت إليه مد ذراعيه، فمدت البدوية ذراعيها عفواً واحتضنته. أما الفتى فهو في العشرين من العمر أبيض اللون أصفر الشارب، قد ترد بقططان أحمر تحزم عليه، وفوق الققطان عباءة من الحرير الأبيض، وعلى رأسه شال - كوفية - قد اعتقله بعقال).

**مياح: أجل يا أميم أجل، إن الحب من نعيم الجنة لا من الدنيا، بل إن عناق العشاق لأجمل منظراً من اتكاء الأبرار على الأرائك، وأنت يا أميمة، أنت أجمل من الحور، وأرق من ولائد النور ... أين الشراب الطهور من كؤوس تزفها عيناك (يقبلاها).**

**ناعسة: لا يُفْتَنُكُمْ أَنْهُمْ يَحْسِبُونَ هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُمْ وَحْدَهُمْ، فَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِوُجُودِ** غيرهم معهم، كأنما خفت عيونهم لا ترى إلا وجه المحبوب، ولا تسمع آذانهم إلا صوت الغرام من أعماق الفؤاد.

**مياح: معدرةً يا أختاه معدرةً** (يمد إليها ذراعه اليسرى إذ تكون الثانية حول البدوية)، لقد طال شوقي إلى ابنة عمي كما تعلمين فأنسانيك فرط لهفتى.

**البدوية: معدرةً يا ناعسة!**

**ناعسة: لماذا تعذران؟ والله ما سُرّ قلبي بمثيل ما رأيت اليوم ... إني لوضع سرك وسرها، وربما عرفت من أمرها أكثر مما تعرف.**

**مياح: أتقول حقاً؟ (يُخاطب البدوية).**

**البدوية: لا تخفي الفتاة عن صديقة لها شيئاً من أمور فؤادها.**

**مياح: ولا الأخ عن أخته التي يحبها.**

**ناعسة (إلى البدوية): ولقد جئت إليك، والله عمدًا؛ أردت أن أكون لكمًا في مثل هذه الساعة.**

**البدوية: آه! ولماذا لم تخبريني بأنه قادم؟**

**ناعسة: أكنت تريدين أن أخبرك بقدوم من تحبين لكي تظلي تفكرين فيه، وتشتغلين عني!**

البدوية: ها ها ها!

مياه: ها ها ها!

البدوية: ومن أدرك أنني اليوم وحدي؟

مياه: ألمت عليك بالأمس خفيّة، ودنوت من الدار فسمعت عمي يأمر عبيده بتسریح جماله في الباية، وسمعته ينذرهم بمجيئه، فعدت وأسررت الخبر إلى ناعسة، وها هي قد تقدمتني لكي لا نفاجأ.

البدوية: ويل للمتأمرين!

ناعسة: لعمري لئن ظللت معها على هذا الحال ودخل عليك أهلها، ما حمدت سترى في شيء.

البدوية: وي! (تبعد عنه).

مياه: آه! إن ذكري العوازل — ذكراهم وحدها لتنفر الآليفين، وتشقي العاشقين.

ناعسة: لا روع عليكم، هأنذا بمرقب فاطمتنا (تخرج من حيث أنت).

مياه: أميمة!

البدوية (وقد دنا منها ابن مياح): لا تنْ مني ... اجلس بُعْد هذا النول (تنذهب هي إلى مجلسها منه).

مياه (ينذهب وراءها): لماذا؟ مازا جرى؟

البدوية: أنت أدرى ...

مياه: لا أدرى والله، ألا إنك تنكرت لي على حين فجأة في ساعة لم نظرف بمثلاها منذ شهرين.

البدوية: أجل ... فماذا خبأك عن طول هذه المدة؟

مياه: آه يا أميمة! ... خباني عنك أبوك يا ابنة عمي، كأنه أوجس أنني غداً أصبحت على وشك أنني أحملك إلى بيتي أغاليبه على محبتك؛ فهو يغار مني ...

البدوية: يغار منك؟!

مياه: أجل ... ما رأيته نظر إلى منذ ذلك اليوم الهني إلا نظرة الحاسد المخجل.

البدوية: حَقَّ؟

مياح: أجل، والله!

البدوية: وهل يمنع المحب رؤية من يحب أمر كهذا؟!

مياح: كلا ... كلا، ولكن لعمي هيبة يا أميمة ومحبة في قلبي، أردت أن أقيله تلك النظرة وأحميه ذلك الخاطر؛ فامتنعت عن غشيان دارك على مضض مني ولوعة ... ولطالما يممت هذا المخيم — كما يممت بالأمس — فألفيت عمي فيه، وعدت أدراجي والعين بالدار عالقة، أتلفت تلفت الأم خلت رضيعها حتى تعود إليه كما عدت إليك الآن يا أميم.

البدوية: إذن فادن، ولكن إياك أن تغيب عني بعد اليوم أو تبالي بأحد.

مياح: كلا، كلا (يدنو منها) لن أبي بأحد بعد اليوم ... ياش! ما أشد دللك يا أميمة! لقد — والله — أذعرني فكيف بالهجر ... ياش! إني لا أطيق مسماه.

البدوية: إذا أنت غبت عني بعد اليوم؛ فواش لن أقلىك هذه القبلة في حياتي (تقيله).

مياح: يومئذ آخذها أنا عنك يا أميمة هكذا (يقبلاها).

البدوية: لم أرد أن أبدرك بذلك ساعة جئت؛ لكي لا أححرك لذة اللقاء، ولكنني كنت واحدة عليك، ولذلك ...

مياح: مددت ذراعيك لتضربني، فعانقتني من حيث لا تعلمين.

البدوية: على غير قصد مني، ولا هوى.

مياح: إذن فعانقيني الآن بقصد، وهوى.

البدوية: إلى، إلى (يتعانقان، وهنا تنادي ناعسة من خلف الستار).

ناعسة: أميمة!

البدوية: صوت ناعسة (تبعد عنه، ويظل ابن مياح جالساً في مكانه متكتكاً على يده، وهو متطلع إلى البدوية، وهي واقفة).

مياح: ما سمعت شيئاً، تعالى.

ناعسة: أميمة (على بعد كبير أيضاً).

البدوية: هذه هي تنادي، لبيك.

مياح: لا تبالي بأحد.

البدوية: كيف؟ انهض من مجلسك يا أخي، إن ناعسة تندرك.

مياح: أنا لا أبالي بأحد، كذلك أمرتني.

البدوية: قم! لقد أقلتك أن تطيع.

مياح: هذه المرة وحدها.

البدوية: أجل، أجل، انهض! (ينهض ابن مياح).

ناعسة (قبل دخولها المرسح): أين أنت يا أختاه؟

البدوية: لبيك، هأنذا ...

ناعسة (تدخل): قد رأيت أباك يعدو على بعيره الأبلق ... ماذا تفعل يا حسين؟

مياح: لا شيء، لقد وعدت أن لا أبالي بأحد، ولا سيما بعمي، بل لقد أمرت بذلك.

ناعسة: ويحك ... حسين ... هلم ... انصرف إذا لم تكن تريد لقاء عمك، أو فانحدر

في الوادي ريثما يعود ... ثم أقدم علينا كأنك وافد.

مياح: ولا هذا أيضاً.

البدوية: فماذا أنت فاعل؟

مياح: سأقف بالعراء حتى يعود ... فإذا حط رجله ودخل عليك وراك؛ فاستأذني

لي عليه ودعيني أظل على ما عهد في من الإباء وحفظ حقه علي، لا أريد أن يرى أنني

دخلت دار عروسي على غير علمه ورضاه.

ناعسة: ما أعرفك بحق الأعمام!

البدوية: هذارأي حسن.

ناعسة: انصرف على بركة الله!

مياح: وداعاً، لا لا! لقاء يا أميمة، لقاء (يهم بالذهب بظهره) ...

ناعسة: فهمنا، فهمنا، انصرف (يعود ابن مياح فيتقى من البدوية) ماذ؟ ...

مياح (يقرب من البدوية ويُقبّلها): لماذا أحرم نفسي قبلة الوداع (يبتعد وهو يتكلم)

إن من العشاق من يشتهي فراق المحبوب رغبةً في عنقه ساعة النوى.

البدوية: إليك ... إليك ... (يخرج ابن مياح جاريًّا) لقد ضرَّج خدي أخوك يا ناعسة.

ناعسة: آه! هذا افتئات على الغلام يا أختاه.

## الفصل الأول

البدوية: كيف ... ألا ترين ماذا صنع بي؟ (تقدّم خدها).

ناعسة (تُقبّلها): لقد ضرّجه الخالق يا أختاه ... لا تأخذني أخي بجريمة غيره.

البدوية: ويحك ناعسة!

ناعسة: أتريددين أن أمنعه أنا قبلة من خديك ... أنا موكلة بخفارتهما، ومع ذلك فلن أسمح لكما بعد اليوم بشيء مما رأيت؛ فإني — ولا أكذب — قد ملكتني اليوم غيرة (تنظر خارج المرسح) أين عمي؟ لماذا لم يحضر؟ ها هو الآن بمنعطف الجبل يسير الهوئيّ، ليتني لم أذعر الفتى.

البدوية: إذا كانت قد ملكتك غيرة مني ... فأمريه الآن أن يكون حيث هو.

ناعسة: والله لقد غرت حقيقة.

البدوية: ها ها! ها هو ذا بالعراء، اذهبي إليه، دعيه يُقبّلك ألف قبلة ... فواهلا لا أغار.

ناعسة: لا تغارين ... حنثت، ورب الكعبة!

البدوية: وي! أجل والله، لقد حنثت ... شعرت إذا تمثلت قبلات أخيك بلذعة في

فؤادي يا ناعسة ... ياه الله ما هذا؟!

ناعسة: ها ها!

البدوية: معذرةً معذرةً! لن أغار بعد اليوم، ولكن لماذا تغارين أنت يا ناعسة؟

ناعسة: لا أدرى، ولكنني تمنيت من حيث لا أدرى أن ...

البدوية: أن يكون لك عروساً!

ناعسة: أخي ... عروساً ... أجل ... كلا، وي ... لا أدرى لقد اختلط لبى.

البدوية: ها ها ها!

أسامة (من الخارج): أميم.

البدوية: لبيك يا أبي (تخرج إليه).

ناعسة (لنفسها): قوادة، ورب الكعبة!

أسامة (يدخل، وهو رجل في الخمسين من عمره ذو لحية، وخطها الشيب، وشاربه غير طويل، وهو لبسه لبسه العربي البدوي): سلام على ابنة أخي ناعسة ... كيف حالك يا بُنَيَّة؟

ناعسة (تتقدم منه ساعة الدخول، وتُقبل يديه): بخير يا عماه.

أساميَّة: كيف حال إخوتك وأمك؟

ناعسة: نحمد الله على العافية يا عماه.

أساميَّة: كيف جئت وحدك؟

ناعسة: جئت برفقة أخي حسين.

أساميَّة: حسين، وأين هو؟ (يلتفت).

ناعسة: إنه بالعراء يا عماه حتى يأذن له أهل الدار.

أساميَّة: وي! (لنفسه) لقد أخذ الغلام على غضي (لناعسة) اذهب إلى ... علىَّ به.

ناعسة: سمعاً يا عماه (تخرج من اليسار).

أساميَّة: فارس العين والضمير حسين لحظ مني أني أستحيي أن أرى فارس

أُميْتني بعيوني فأقالوني، بارك الله ... مضى اليوم أشهر أربع لم أره فيها إلا فواقاً في حظيرة أبيه، كأنما كان يتجمب لقائي، وكان لا يفارق مجلسي لحظة، ولا يميل عنِّي هنيهة ... أحبه ورب الكعبة، ولكن، واسوأاته ... ماذا يخلجنِي منه وأنا أسلمه عرض ابنتي بيدي؟! ... آه! هذا يؤلمنِي، لعن الله الشيطان! يلقى في روعي كأنني أبيح عرضي مستبيحاً ... لا ... رب آمنت بك، وبكتابك، وسنة نبيك، ولكني لا أطيق تخيل ابنتي بين ذراعي سوالي ... آه! إنك اللهم تعذبني بما أخذت به حمایي؛ إذ حمانِي رؤية أمها بعد الخطبة ... لقد آليت يومئذ لا أحرم الخاطب رؤية ابنتي، وأراني اليوم حنث، وإن لم أمنعه. كلا، سأقلع عن هذا أو فلأزفها إليه وشيكًا لأقال طول النظرة، وي! كلا ... لا أفارقها، ليعش معِي ... أجل ... ليعش معِي ... (يسكت ويراجع نفسه) لا أراه بعيوني ... كلا ... ليعش بعيداً عنِي فلن أراه، هذا عرض يُباح فما يهمني أحل أم حرم! كلا، من يطيق هذا؟! (يعاود نفسه)، وأعيش كالشجرة الملحة! أعيش، ولا أُميّم. أعيش، ولا حسين (يسكت) رب أُولئِني منك عطفاً ... أنزل على نفسِي السكينة ... رب اهدني بهداك (يركع مستقبلاً القبلة ويسجد) حمدك اللهم هذِي سنة خلقك يا أكرم الأكرمين (ويظل راكعاً مستقبلاً القبلة، ويدخل حسين تبعه أخته ناعسة، فينتظر أن حتى يتم صلاته، فإذا سلم أساميَّة يساراً ورأى حسيناً نهض إليه) هلم إلى صدري يا بني ... أنت أحب الناس إلى نفسي ... لا تأخذني بما أجرمت إليك، ابقَ هنا، لا تبرح حتى أزف إليك أميّمة.

## الفصل الأول

**مياح:** عماه! عماه! (يقبل يده، وعمه يقبله وناعسة تمسح دموعها، وعند ذلك تدخل أمية).

**أسامية:** تعالى يا ابنتي ... هذا بعلك ... خديه ... لا تبارحي مجلسه، لا تفارقنيه، لن يكون أبوك في هذا المنزل إلا ضيفاً عليكم، وسألقى بقية أيام حياتي أشم في أرданكا ريح شبابي الماضي، وأدعوا الله لكم بالسعادة (أمية ومياح يركعان ويقبلان يده) انهضا انھضا، بارك الله لي فيكم، إلى الدار، علينا بالعشاء يا أمية، عاونيهما عليه يا ناعسة.

**ناعسة:** حباً وكرامةً (تخرج هي وأمية من اليسار).

**أسامية:** حسين!

**مياح:** لبيك!

**أسامية:** إني راحل إلى المغرب عما قريب.

**مياح:** إلى المغرب يا عماه! ... لماذا؟

**أسامية:** لقد استنفرنا مولانا أبو علي المنصور خليفتنا الأمر بأحكام الله؛ لنفقاً عن فتنة أثارها ابن عمه حسن.

**مياح:** من حسن هذا يا عماه؟

**أسامية:** الأمير حسن بن نزار، نزار الذي حاربناه عام مولده يابني حتى سقناه أسيراً إلى أخيه المستعلي بالقاهرة، ثم قضى في السجن تحبه.

**مياح:** وما كان جرمك يا عماه؟

**أسامية:** آه! هذا ما تُغضى له عيني يابني.

**مياح:** كيف؟! أكان على الحق يا عماه؟

**أسامية:** كان مظلوماً يابني ... لما مات الخليفة المستنصر ترك ولدين: نزار وأحمد، وكان نزار أكبر من أخيه بثلاثين عاماً، ولكنه كان زعيماً فرقة دساسة خبيثة تُسمى الإسماعالية؛ نسبة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ... كانت تكره صاحبنا الوزير الأفضل شاهنشاه، فلم يشاً الأفضل أن يبایع نزاراً هذا خشية منه على البلاد، وبایع أخيه أحمد ونعته المستعلي بالله.

**مياح:** هذا أبو مولانا الخليفة الآخر.

**أساميـة:** أـجل يا بـني هـو ... إـنه مدـين لـنا بـما هـو فـيه الـيـوم مـن الـمـلـك ... لـذـك فـإـنه يـبعـث إـلـي أـنـا وـأـبـيك بـهـدـاـيـا كـرـيمـة كـل عـام ... إـن قـبـيلـتـنـا هـي الـتـي أـخـضـعـت نـزـارـا هـذا، وـهـي الـآن مـدـعـوـة لـقـتـال ولـدـه حـسـن فـي بـرـقـة.

**مـياـح:** ولـلـاذـنـا تـرـحـل يا عـمـاه إـذـا كـان نـزـار مـظـلـومـا؟ فـإـنـا المـعـاوـنـة عـلـى ولـدـه إـثـمـا فـيـما أـرـى.

**أـسامـيـة:** ما كـانـتـ الـخـلـافـة مـيرـاثـا يـا بـنيـ، إـنـها لـلـأـصـلـحـ مـنـا نـحـنـ الـمـؤـمـنـينـ، وـأـنـتـ تـعـلـمـ أـنـا لـم نـزـ فيـ الـفـاطـمـيـنـ مـثـلـ أـبـيـ عـلـيـ رـجـلـاـ ... يـا بـنيـ إـنـه رـجـلـ يـحـبـ الشـعـرـ، وـيـكـرـمـ الـعـربـ، وـلـا يـفـرـطـ فـيـ تـرـاثـ أـجـادـاـهـ ... لـم تـزـهـرـ الدـنـيـا كـمـا أـزـهـرـتـ فـيـ أـيـامـ هـذـاـ الـخـلـيفـةـ.

**مـياـح:** وـلـكـنـه سـفـاكـ لـلـدـمـاءـ، أـلـمـ يـقـتـلـ أـفـضـلـ شـاهـنـشـاهـ وـزـيـرـهـ، ثـمـ يـقـتـلـ بـعـدهـ المـأـمـونـ الـبـطـائـحـيـ؟

**أـسامـيـة:** آـهـ يـا بـنيـ! إـنـكـ لـا تـدـرـيـ لـمـاـذـا قـتـلـهـمـا ... قـتـلـهـمـا لـأـنـهـمـا عـمـلاـ عـلـىـ نـزـعـ الـخـلـافـةـ مـنـهـ؛ فـالـأـفـضـلـ وـدـ أـنـ يـظـلـ وـزـيـرـاـ يـعـمـلـ بـقـوـةـ الـخـلـافـةـ كـلـهـاـ، وـجـعـلـ الـخـلـيفـةـ الـأـعـوبـةـ فـيـ يـدـيـهـ، وـأـمـاـ الـمـأـمـونـ فـقـدـ اـسـتـكـشـفـنـاـ مـؤـامـرـةـ دـبـرـهـاـ كـانـ يـرـيدـ بـهـاـ خـلـعـهـ مـنـ الـخـلـافـةـ، وـمـبـاـيـعـةـ مـحـمـدـ بـنـ نـزـارـ الـذـيـ كـانـ فـيـ الـيـمـنـ، وـقـدـ تـحـقـقـ لـهـ الـأـمـرـ؛ إـذـ وـجـدـ الـخـلـيفـةـ مـحـمـدـاـ هـذـاـ قـدـ جـاءـ وـوـجـدـ الـمـأـمـونـ وـإـخـوـتـهـ فـيـ بـيـتـ مـخـفـاهـ ...

**مـياـح:** لـقـدـ فـعـلـ الـخـلـيفـةـ حـقـاـ ... لـا مـرـاءـ فـيـ ذـلـكـ، وـلـكـنـيـ سـمـعـتـ يـاـ عـمـاهـ أـنـهـ فـاسـقـ ... لـاـ يـنـيـ عـنـ الـعـبـثـ بـالـأـعـرـاضـ غـيـرـ خـجلـ وـلـاـ وـجـلـ.

**أـسامـيـة:** آـهـ! هـذـاـ مـاـ يـحـزـنـنـيـ يـاـ بـنيـ، لـعـنـ اللـهـ الشـيـطـانـ، هـكـذـاـ الـمـلـوكـ يـاـ بـنيـ إـلـاـ مـنـ عـصـمـ رـبـكـ! (يـسـكـتـ) لـعـلـيـ ذـاهـبـ بـعـدـ الـحـصـادـ يـاـ بـنيـ.

**مـياـح:** فـيـ حـفـظـ اللـهـ يـاـ عـمـيـ.

**أـسامـيـة:** أـجلـ. سـأـرـحـ مـطـمـئـنـاـ ... اـسـمـعـ يـاـ حـسـينـ، إـنـيـ أـتـرـكـ هـذـاـ الـبـيـتـ وـابـنـيـ وـمـالـيـ وـعـبـيـديـ لـتـقـومـ عـلـيـهـمـ، فـإـنـ أـسـعـدـنـيـ اللـهـ بـالـشـهـادـةـ فـهـيـ لـكـ، فـاعـمـلـ بـمـاـ أـمـرـ النـبـيـ — عـلـيـهـ السـلـامـ — إـذـ قـالـ: «اتـقـواـ اللـهـ فـيـ الـضـعـيفـينـ: الـمـرـأـةـ، وـالـرـقـيقـ». إـنـ الرـقـ مـفـسـدـةـ وـالـحرـيـةـ مـكـرـمـةـ، فـلـاـ تـأـخـذـ عـبـدـاـ بـمـاـ جـنـحـ وـإـلـاـ كـنـتـ دـوـنـهـ خـلـقاـ، وـلـكـ إـيـاـكـ وـالـتـفـرـيـطـ فـيـ الـكـرـامـةـ ... إـيـاـكـ وـالـرـضـاءـ بـالـضـيـمـ، وـإـذـاـ اـسـتـفـرـتـ مـنـ بـعـدـيـ لـقـتـالـ فـلـاـ تـحـجـمـ، دـعـ اـبـنـيـ فـيـ بـيـتـهـ حـتـىـ تـعـودـ إـلـيـهـاـ أـوـ تـعـودـ فـيـ ذـمـةـ اللـهـ. هـذـيـ وـصـيـتـيـ إـلـيـكـ، وـأـنـتـ عـنـدـ ظـنـيـ بـكـ إـنـ شـاءـ اللـهـ.

## الفصل الأول

**مياح:** سمعت، ووعيت، وأطععت، والله خير الشاهدين:

نَحْنُ يَا عُمُّ مِعْشَرِ إِنْ دُعِينَا  
لِقَاتِلِ الْعَدَا نَفَرْنَا إِسْرَاعًا  
دَأْبُنَا الْجُودُ فَالنَّفْوسُ عَطَاءٌ  
خَالِصٌ بَيْدَ أَنَّهَا لَنْ تُبَاعَ

**أسامة:** أحسنت يابني أحسنت، من أجل ذلك ارتضيتك فارسًا لها (هنا يدخل عبد  
أسود) ما وراءك يا زياد؟

**زياد:** إن بالوادي قومًا وفدوا من عند مولانا الخليفة.

**أسامة:** من عند الخليفة! أخبروك بهذا؟

**زياد:** أجل يا مولاي ... قابلوني أنا وسعيد وسائر العبيد عند منعطف الوادي،  
وحادثتي بذلك فارس منهم يلتعم النبل في عينيه.

**أسامة:** مرحباً بالأضيفاً مرحباً، اخرج إلى العبيد فاجتمعهم، وحيوا الأضيفاً في  
اللقاء.

**زياد:** سمعاً يا مولاي (يخرج من حيث أتي).

**أسامة (نفسه):** لقد استبطأوني لعن الله الشيطان ... حسين!

**مياح:** لبيك.

**أسامة:** اذهب يابني، وانظر في العشاء ... اعقر لهم بعيري الأبلق، وألقه إلى العبيد  
ليعدوا لنا طعاماً؛ إننا لم نعد شيئاً قيّماً.

**مياح:** كيف أعقر بعيرك الأبلق يا عماه وقد دفعت فيه مائة جمل لطي؟! إنهم لا  
يأكلون دماً بل لحمًا، والجمال في هذا سواء.

**أسامة:** أجل يابني، ولكن وفد الخليفة لا بد أن ينحر له خير النعم.

**مياح:** ومن أين لهم بمعرفة ذلك يا عماه؟

**أسامة:** ما بك يا غلام؟! ألسنت من أبيك؟! إن العربي لا يكتفي من الكرم بظاهره،  
وما كريم من يموه على الناس كرمه.

**مياح:** ولكن الأبلق هذا ...

**أسامة:**

وَيْكَ! قَلْ لِي يَا ابْنَ مِيَاهْ مَتَى  
عَزَّتِ الدُّنْيَا عَلَيْنَا فِي الْكَرْمِ  
هَانَتِ النَّفْسُ عَلَيْنَا، عَجَّابًا  
نَبَذَلَ النَّفْسَ، وَنَسْتَبَقِ النَّعْمَ!

**مياه:** صدقت يا عماه صدقت ... ولكن ...

**أسامي:** إذن فلأنحره بيدي، هلم (يخرجان من اليمين، ويدخل رجلان قد ترديا رداء أهل الbadia إلا أنه على غاية ما يكون من الحسن، أما هذا اللباس فيستر من تحته ملابس الإمارة، فالأول وهو الخليفة الأمر بأحكام الله ظاهر الجلال، والثاني إذ هو الأمير أبو علي بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش جليل، إلا أنه أقل مظهراً، والرجلان متذكران).

**ال الخليفة:** هذا هو المكان الذي وصفته ريطة يا أبا علي.

**أبو علي:** إن ريطة دقيقة الوصف يا مولاي، لا يفوتها صغير ولا كبير، كيف؟! تلك كانت مهمتها في الحياة، ومن أجل هذا ارتضيتها أمينة سرك.

**ال الخليفة:** لقد — والله — أنيصنفت يا أبا علي ... إن القوم في القاهرة قد عرفوا كل نساء سري، وعيوني على ملاحهم، فوجب على أن أتخذ غيرهن لذلك، ولا أكذبك أني سئمت وصال التركيات والصقلبيات؛ إن بهن لكتة لا تسر العربي، وأراني ظفرت في ريطة بمفتاح خزائن الأعرابيات.

**أبو علي:** عسى أن تكون صادقة فيما خبرت يا مولاي.

**ال الخليفة:** أما وربى لئن تبين لي أنها أرسلتني إلى الصعيد عبثاً لأستلن لسانها من قفاتها، ولأفقأن عينها التي كذبتها فكذبتني.

**أبو علي:** ما أظنها تخطئ الوصف يا مولاي.

**ال الخليفة:** لقد أبصرت بفتاة كاللؤلؤة على المخمل الأسود تدخل خيمة بجوار هذى، وهي كما وصفت لي ريطة ... لو لا أنتي لم أملأ كل عيني منها.

**أبو علي:** تعنى تلك الفتاة البيضاء ذات الخلال الأبيض، والخمار الأزرق، والثوب الأسود.

**ال الخليفة:** أجل هي يا أبا علي ... لعمري لئن كانت هي البدوية التي ذكرتها ريطة لأغدقن عليها نعمتي، ولأجعلنها قهرمانة قصرى ما حبيت ... هذى الفتاة ساحرة يا أبا

علي، والله لئن كانت هي البدوية لاستووجبت أن أهبهها كل ملكي.

**أبو علي (يوضح):** ها ها ها! هب أنها فتاة أخرى يا مولاي، ألا تهبهما ملك سواء؟!

الخليفة: لا أدرى.

**أبو علي:** لا تدرِّي ... كيْف؟ إِنَّكَ لَا تطلُبُ مِنَ الْبَوْدِيَّةِ إِلَّا جَمَالَهَا الْفَتَّانُ الَّذِي رَوَتْ عَنْهُ رِيْطَة، وَقَدْ فَتَنَكَ جَمَالٌ مِّنْ رَأَيْتَ الْآنَ قَدْرَ مَا فَتَنَكَ وَصْفُ الْأُولَى، فَمَاذا يَفْضُلُ هَذِي عَنْ تَلْكَ؟

**ال الخليفة:** إن للبدوية هوى قديماً في نفسي يا أبا علي، والأذن تعشق قبل العين  
أحياناً ... لقد ذكرت لي ربيطة ما ذكرت عن جمالها فصورته لنفسه، وعشقته، وهمت به  
في الفلووات والبواقي كما تراني الآن. أليس مجئي من مصر مقر ملكي إلى سيوط هذى  
غرااماً وهاماً؟

**أبو علي: وفوق الهيام يا مولاي.**

**ال الخليفة:** ليس فوق الهيام إلا الجنون (يوضحك) أتعني ذلك؟ أجل إنه جنون، ولكن لذة العيش في الجنون ... فأنا إذا آثرتها على غيرها فذلك انتصاراً بأمر الهوى، ولا مرد لما قضى.

**أبو علي: صدقٌ يا مولاي ... ما عجبت لشيء في الحياة عجبٍ للإنسان.**

الخليفة: كيف ذلك؟

**ال الخليفة: أصْنِعْ يَا أَبَا عَلِيٍّ، هَذَا الْجَوَابُ: لَقَدْ شَيَعْتُ نَفْسِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ ثُلِّتُ كُلَّ مَا تَشْتَهِي النُّفُوسُ، وَبَلَغْتُ أَقْصَى الْمَقَاصِدِ، وَهَدَأَتْ ثَائِرَةُ النَّفْسِ مِنِّي، فَإِنَّا أَسْتَطِعُ الْيَوْمَ أَنْ أَعْرِفَ السَّرَّ ... أَتَدْرِي مَا هَذِهِ الدِّنِيَا الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا؟ وَمَا دِنِيَا مِنْ سَبِّقُونَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ،**

وما بعدها ... في الشرق والغرب على اختلاف العادات، والمشارب؟!

أبو علي: هات لنرى!

١) كان علم الفاطميين قطعتين من النسيج خيّطاً على صورة أسدٍ مفتوح الفم، فإذا ملأهما الهواء انتفختا فمتناً أسدًا يسراً.

**الخليفة:** الدنيا هذه ... أي طريقة معاش الناس، أمر افتعلوه؛ خلقوه لأنفسهم، ونشأواه لأنفسهم كما تنشئ لنفسك داراً تحشوها أثاثاً، وتهيئها كما تشتوي، وقد تتقوض، وتُبنى على نظام آخر يختلف عن الأول في كل شيء؛ تغير أو تفني، ولكن الأرض التي تقيم دارك عليها باقية لا تتغير ولا تفني.

**أبو علي:** هذا صحيح، كل ما خلقه الله يبقى ولا يتغير، وكل ما خلقه الإنسان يتغير ويفنى. هذا شيء صريح؛ فما المراد؟

**الخليفة:** الإنسان على الفطرة. لا يستطيع التخيّل عنها مهما حاول، ومهما قيد نفسه أو قيد غيره بشرائع، وأديان، وآداب، وواجبات ... وأول شيء رُكِب فيها حب البقاء على أحسن حال، وآخر مجهد للإنسان الحصول على المرأة ليُبقي منها في ولده من حيث لا يدري، والأمم كالأفراد يتراحمون ويتشاركون ويتقاتلون؛ لتحصيل ذلك على أحسن حال، وكل ذلك تحقيقاً لفكرة البقاء التي رُكِبَت عليها أنفسهم من حيث لا يعلمون إلا بِأعمال الفكر.

**أبو علي** (بعد التفات وإصغاء بتلطف): لو نهض أفلاطون اليوم من قبره ما كان عجب له لهذه الحِكم دون عجبي ودهشتي.

**الخليفة:** ليست هذه فلسفة يا أبو علي، هذا مارأيته كما قلت لك بالاختبار والنظر، دخلت بيت الحياة ... الدار التي وصفتها لك ... أو الواحة التي أخصبها الإنسان بيده، وهيأها كما اشتوي، وسط الصحراء القديمة الخالدة التي لا تفني، وسرت في الواحة من أدناها إلى أقصاها، وأمعنت في طلب آخرها؛ فرأيتني خرجمت إلى الصحراء مرة ثانيةً.

**أبو علي:** فماذا شعرت يومئذ؟

**الخليفة:** شعرتُ – بل تبيّنْتُ – أن المرأة سيدة العالم، وأن الرجل خادمها، ولكن ضعف جسمانها وقلة حيلتها البدوية توهمنه أنه السيد وأنها المسود ... وقد جمد الرجل على هذا الوهم وظل مغطباً به فزادت سيادة المرأة عليه؛ لأنه لما لم يعرف ذلك لم ينزعها سلطتها الحقيقة، وقد زادته الأديان والشرائع ثباتاً على هذا الظن؛ ولذا فهو الآن لا يعمل إلا لها ولا يقاتل إلا لحمايتها ولا يُعنِي إلا بذلك، فإذا قصر في ذلك تقدر غضب، لأنه لم يحصل غرضه بل لأنه جدير يومئذ أن تزورَ عنه المرأة وتغضب عليه؛ فكان مصابه عظيماً. أما إذا هي عزته أو هونت عليه الأمر اطمأنَ وأفرخ، كأنه يشعر من أعمق نفسه أنه لا يعمل إلا لها، وإن كان هناك بون شاسع وفرق عظيم بينه وبينها حسبياً ونسبياً. إن الفطرة لا تعرف المراتب ولا تُقر المناصب ... حَسْبُ المرأة أن تكون

جميلَةً لتكون سلطانةً، تأمر وتنهى، وتحل وتبرم بلسان الرجل ويده. يتوهם الرجل إذ ذاك أنه يفعل ذلك بملكه، والحقيقة أنه مُسْوَق بِيَدِ حَفِيَّةٍ هي يد المرأة التي تلبسها يد الفطرة كالقفاز.

**أبو علي:** صدقـت يا مولاي ... صدقـت يا مولاي ... مرحـى لك مرحـى.

**ال الخليفة:** ولذلك فإني لا أراني أتردد في أن آخذ من كانت فتاتـة الحسنـ، لا لأهـبـها ملـكيـ تـكـرـمـاـ بل لأعـطـيـهاـ ماـ أـمـرـتـنـيـ الفـطـرـةـ أنـ أـعـدـهـ لـسـيـدـةـ آـمـرـةـ مـطـاعـةـ،ـ وـأـنـاـ أـتـظـاهـرـ مـنـ حـيـثـ لـأـرـىـ بـأـنـيـ أـنـاـ الـأـمـرـ بـأـحـكـامـ اللهـ،ـ لـأـمـأـورـ بـأـحـكـامـ النـسـاءـ.

**أبو علي:** هـاـ هـاـ هـاـ،ـ إـذـاـ كـنـتـ الـيـوـمـ عـلـىـ وـشـكـ أـنـ تـهـبـ مـلـكـاـ وـتـمـنـحـ تـاجـاـ؛ـ فـإـنـيـ سـائـلـكـ باـلـهـ أـنـ لـأـنـسـانـيـ،ـ أـعـطـنـيـ الـوـزـارـةـ الـتـيـ كـانـتـ لـأـبـيـ،ـ يـغـفـرـ اللهـ لـكـ.

**ال الخليفة:** هـاـ هـاـ هـاـ!ـ إـذـاـ شـاءـتـ الـبـدوـيـةـ أـنـ تـنـالـهـاـ يـاـ أـبـاـ عـلـيـ فـهـيـ لـكـ بـإـذـنـ اللهـ ...ـ أـلـمـ تـعـ مـاـ كـنـتـ أـقـولـ؟ـ!

**أبو علي:** مـعـذـرةـ يـاـ مـوـلـايـ ...ـ مـاـ أـنـاـ إـلـاـ رـجـلـ وـاهـمـ مـثـلـ.

**ال الخليفة:** هـاـ هـاـ!ـ هـلـ بـنـاـ نـرـجـعـ،ـ أـنـاـ فـيـ اـنـتـظـارـ رـسـوـلـ أـسـمـاـ،ـ وـأـرـانـاـ غـبـنـاـ عـنـ العـسـكـرـ طـوـيـلـاـ ...ـ سـنـظـلـ مـتـنـكـرـينـ فـيـ هـذـهـ الثـيـابـ حـتـىـ نـرـىـ الـفـتـاةـ،ـ وـنـسـتـطـلـعـ رـأـيـ أـبـيـهاـ.

**أبو علي:** هـوـ كـذـلـكـ يـاـ مـوـلـايـ،ـ هـلـ بـنـاـ،ـ عـوـضـنـيـ اللهـ خـيـراـ.

**ال الخليفة:** هـاـ هـاـ هـاـ!ـ هـلـ بـنـاـ (ـيـخـرـجـانـ مـنـ الـيـسـارـ،ـ وـتـدـخـلـ الـبـدوـيـةـ عـجلـةـ تـتـبعـهاـ نـاعـسـةـ وـمـعـهاـ وـسـائـدـ).ـ

**ال بـدـوـيـةـ:** هـلـمـيـ يـاـ نـاعـسـةـ،ـ هـلـمـيـ!ـ أـعـدـيـ الـوـسـائـدـ؛ـ إـنـيـ رـأـيـتـ الـجـمـعـ يـدـنـونـ مـخـيمـنـاـ،ـ أـسـرـعـيـ (ـتـلـقـيـ لـهـاـ الـوـسـائـدـ فـتـأـخـذـهـاـ نـاعـسـةـ،ـ وـتـهـيـئـهـاـ إـلـيـ الـيـسـارـ).

**نـاعـسـةـ:** وـفـدـ الـخـلـيـفـةـ يـجـلـسـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـرـضـ،ـ يـاـ للـعـجـبـ!

**أـسـمـاـ** (ـيـدـخـلـ،ـ وـهـوـ يـرـخـيـ كـمـهـ كـانـ مشـتـغـلـاـ بـشـيءـ يـخـشـيـ أـنـ تـتـسـخـ مـنـهـ أـطـرافـ الـكـمـ)ـ:ـ إـنـ هـذـهـ الـأـرـضـ أـرـفـعـ مـنـزـلـاـ مـنـ عـرـشـ الـخـلـيـفـةـ نـفـسـهـ،ـ هـذـيـ أـرـضـ لـمـ يـدـنـسـهـ دـنـسـ،ـ وـلـمـ يـقـرـفـ عـلـيـهـاـ مـحـرـمـ،ـ هـذـهـ الـأـرـضـ أـخـرـجـتـ لـلـنـاسـ عـمـكـ وـأـبـاـكـ،ـ وـأـهـلـكـ الـذـينـ أـجـلـسـوـاـ إـبـنـ فـاطـمـةـ عـلـىـ عـرـشـ الـخـلـافـةـ،ـ هـلـمـ أـسـرـعـيـ،ـ أـعـدـيـ الـعـشـاءـ.

**نـاعـسـةـ:** حـبـاـ وـكـرـامـةـ (ـتـخـرـجـ أـثـنـاءـ حـدـيـثـ أـسـمـاـ،ـ لـاـ يـنـقـطـعـ الـطـبـلـ،ـ وـعـلـيـهـ فـإـذـاـ خـرـجـتـ نـاعـسـةـ يـقـدـمـ الـمـوـكـبـ يـتـقـدـمـهـ بـعـضـ الـجـنـدـ وـالـخـلـيـفـةـ وـأـبـوـ عـلـيـ فـيـ وـسـطـهـ،ـ وـيـحـيـطـ بـهـمـ جـمـلةـ عـبـيـدـ وـبـعـضـ رـجـالـ وـنـسـاءـ جـاؤـواـ عـلـىـ الصـوتـ،ـ وـهـمـ يـنـشـدـونـ):ـ

يا مرحباً بالوافدين  
وجاءنا كل مني  
قد زارنا كل مني  
يا مرحباً بالأكرمين

### أُسامة وعبيدة:

أهلًا بوفد الأمر  
خليفة الله على  
مولى موالي المسلمين  
كل البرايا المؤمنين

### ال الخليفة وأبو علي ورجاله:

شكراً لمن أنتم له  
ما كان عبداً من يكون  
خير الموالي الصالحين  
كمثلكم في العالمين

أُسامة: مرحباً بكم يا سادة، مرحباً برسل أمير المؤمنين، نزلتم أرضًا سهلاً ومكاناً  
رحباً، تفضلوا بالجلوس على بركة الله.

ال الخليفة: سلام على أُسامة شيخ أعراب الصعيد ونصير مولانا الخليفة، إن أمير  
المؤمنين يقرئك السلام ...

أُسامة: وعلى أمير المؤمنين وعليكم السلام.

ال الخليفة: إننا وفدينا على ديارك قاصدين، لقد طالما ود أمير المؤمنين أن تكون معه  
في القصرين جليسًا يأنس بك ويستعز، وتكون له نعم النصيحة الأمينة، وقد بلغه أنه لا  
يعدك عن الرحيل إليه إلا فتاة حسناء تؤثر الbadية على الحاضرة، ولبس العباءة على  
الشف، فجئنا إليك بأمر مولانا نستدعيك إليه أنت وابنتك لتتنزل بها في منظرة اللؤلؤة ...

أُسامة: شكراً لأمير المؤمنين وحمدًا، لا مرد لحكمه ولا تعقيب لكلماته ... ولكنني  
استنفرت لقتال أعدائه في المغرب وسأرحل في سبيل الله وشيكًا، إن أمير المؤمنين — أطال  
الله بقاؤه — كثير الوزراء والنساء، بيد أن له من حكومته وصواب رأيه عصمةً من  
الزلل، وحمى من الخطل، وما أنا إلا أعرابي لا أعرف إلا الله والسيف، فأماماً السياسة  
ومناهجها والممالك ونظمها، فما لي فيها حيلة ولا اقتدار، وما خسر امرؤ عرف قدر  
نفسه ...

## الفصل الأول

**ال الخليفة: إن الخليفة قد أقالك الرحيل إلى المغرب؛ لأنَّه يريدك لأمر أهم لديه وأعظم**

...

**أُسامِة: إن كان الخليفة قد أقالني فما أقالني ربِّي، ولا طاعة لخلوق في معصية الخالق، هذا يوم أيها الفرسان يغتبط به المسلم، فإذا نال الشهادة فرُفِّ إلى جنة عدن، وإنما استُبْقِي حتى يتم حق الله عليه في قومه ودينه، فأفترض لي الجنة ثم آباها، أوثر عليها مجلساً في منظرة على الخليج من القاهرة؟! كلا، كلا ...**

**ال الخليفة: لك ما ترى يا أُسامِة، ولكننا أتينا إليك بأمر مولانا نلقي إليك جملته، فإنَّ يكن لك على حكاية بره بك اعتراض فليس من الجود أن تحملنا إياه، تعالَّ معنا أنت وبانتك شاكراً ثم اعترض؛ فإنه لا يأبى عليك السؤال متى استبان له العذر ...**

**أُسامِة: سأذهب معكم أيها الوفد الكريم وحدي، أما ابنتي فلم تعد تقعدني حمايتها عن الرحيل ...**

**ال الخليفة: كيف؟**

**أُسامِة: لقد عزمت أن أزفها إلى ابن عمها فهو اليوم يحميها، بل لقد نزلت لهما عن ضيعيتي ومالي ورجالي، وأصبحت اليوم ضيفاً عليهم، فإذا قضى مولاي أن أجيء إليه فإني أملك ذلك، أما ابنتي فلم أعد أملك رحيلها أو بقاءها لنرحل معًا حتى الأقيمة، ثم لأرحل بعد ذلك في سبيل الله (يرى ابن مياح داخلاً) هذا بعلها ابن أخي حسين بن مياح ...**

**ال الخليفة (يُؤخذ): بعلها! هذا؟! ... سلامٌ يا ابن مياح.**

**مياح: عليك السلام أيها الفارس، مرحباً بك وبصحبك في ديارنا.**

**ال الخليفة: شكرًا لك يا ابن مياح.**

(عند ذلك تدخل أميمة وناعسة، فإذا رأها الخليفة امتلكته دهشة لروعتها، أثناء التفات الخليفة يلتفت الجمع وأُسامِة أيضًا إلى القادمتين.)

**أُسامِة: وهذه ابنتي أميمة، وبنت أخي ناعسة.**

(أثناء نطق أُسامِة بالجملة ينطق الخليفة بجملته الآتية دون أن ينتظر أُسامِة.)

**الخليفة:** هذه! هذه! ما أبهى هذا الجمال! لقد صدقت ربيطة.  
**البدوية** (عند انتهاء أبيها وال الخليفة من جملتهما): مرحباً بالفوارس أنصار مولانا  
أمير المؤمنين.

**الخليفة:** مرحباً بك يا زهرة العرب، إن أمير المؤمنين يهدي إليك هذا العقد تذكاراً  
لشكري القديم الباقي.

**أسامة:** شكرأً لأمير المؤمنين؛ إنه يطوقنا منه كبرى، تقدمي يا أميمة فتقبّلني.

(تتقدم أميمة إلى الخليفة فيقل لها العقد وهو مأخوذ.)

**الخليفة:** سبحان الخلاق العظيم!

**البدوية** (وقد ابتعدت و تعرضت المرسح في عودتها إلى الجمع): لَتَكَ وَاللهُ مَكْرُمَة  
تملاً بيت أبيي عزّاً وفخرًا، ما لنا بشكر أمير المؤمنين يدان.

**الخليفة:** يا أميمة، لقد كلفني مولاي أمير المؤمنين أن أستأذنك أنت وأبوك الكريم  
في الرحيل إليه لتكونا في جواره بقصر اللؤلؤة؛ اعترافاً بفضل أبيك على آل بيته، وأملاً في  
الائتناس به وبرأيه.

**البدوية:** إن أمير المؤمنين يستكثر قليلنا ويستكبر صغیرنا، فاحمل إليه سلامنا  
وشكرنا ثم ابذل له عذرنا، إنما قوم لا نطيق سكنى الحضر ولا نستلذه، فما ذنه أمير  
المؤمنين بِرّاً بنا ليس إلا شقةً لنا، له منها ثواب حسن نيتها ولنا فيها عذاب إيثاره.

**الخليفة:** ولكن قصر اللؤلؤة يا أميمة مغنى ليس له في القصور مثل.

**البدوية:** من ذا يترك هذه الباية الواسعة الأرجاء، يؤثر عليها غرفاً ضيقة الصدر  
مقيدة الهواء؟ من ذا يترك سماء الله انتشرت فيها نجوم اللؤلؤ والجمان، إلى قبة دانية  
افتعمتها يد الإنسان؟ إن العربي أيها الفارس لا يعتاض عن خيمته إيوان كسرى، ولا  
حاضر نعمته نعمة أخرى، يندون عن المدينة ليبقى على نفسه سيفه وخلقه ودينه، يرى  
أهل الحضر فيشقق عليهم، ويستنطر الله إليهم؛ خلق غير وثيق، وتذكر للصديق عند  
الضيق، سعاية يوم الامتحان، ووشاشة يوم الكتمان، وما نرضى لأنفسنا أيها الفارس، ولا  
لأعقابنا حالاً كهذا:

نَحْنُ قَوْمٌ نَرِي الْحَيَاةَ اعْتِزَازًا  
بِنُفُوسِ أَبِيهِ وَصَوَارِمْ  
قِدْ خُلِقْنَا لَا نَعْرِفُ الْمَيْنَ فِي الْحَقِّ  
قَدْ خُلِقْنَا بِصَغْرِي الْمَظَالِمْ

## الفصل الأول

ديننا دين عَزَّةٍ وإِباءٍ  
ومضاء ونجمة ومكارمْ  
والبُوادي كفيلة ببقاها  
وسوها كفيلة بالمحارمْ

(تنسحب إلى الوراء هي وابن مياح، وتدخل وسط جماعتها).

أُسَامَةُ: أَحْسَنْتِ يَا بَنْيَةً!  
مِياحُ: أَحْسَنْتِ يَا أُمِيَّةً!  
الجَمِيعُ: مَرْحَى! مَرْحَى!

(تظل البدوية وابن مياح مشتغلين عن حديث الخليفة وأُسَامَةَ بما يجري بينهما من الكلام الذي لا يُسمَعُ).

**الخليفة:** لقد استتبَتْ هذه الفتاة لِبِي، وأفْحَمْتَنِي فَمَا تَنْفَعُ حِيلَتِي، دَبَرْنِي يَا أَبَا علي.

**أبو علي:** لقد — وَالله — أَرْتَجَ عَلَيْ، فَلَا أَدْرِي بِمَاذا أُشَيرُ، وَلَكِنْ لَمَذَا لَا تَخْطُبُهَا إِلَى أَبِيهَا؟

**الخليفة:** أَمَا سَمِعْتَ أَنَّهَا مَخْطُوبَةٌ لَبْنَ عَمِّهَا هَذَا؟  
**أبو علي:** قَدْ يَنْزَلُ عَنْهَا إِثْرًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

**الخليفة:** لَا أَرِي ذَلِكَ؛ إِنْ هُؤُلَاءِ الْأَعْرَابَ لَا يَرَوْنَا مَثَلَهُمْ بِمَا خَالَطَ دَمَائِنَا مِنْ دَمَاءِ الْأَعْاجِمِ، وَمَعَ ذَلِكَ (يُلْقِفُتُ إِلَى أَسَامَةَ) يَا شِيخِ الْعَرَبِ، لَمْ أَشَأْ أَنْ أَبْدِهَكَ بِمَا يَرِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَعْرُفَ صَدْقَ مَقَالِ ابْنِكَ وَيَقْرَهُ، بَلْ لَقَدْ كَانَ مِنْذُ أَيَّامَ قَاعَةِ الْذَّهَبِ يَثْنَيُ عَلَى الْأَعْرَابِ، وَيَذْمُمُ عِشْرَةَ الْأَخْلَاطِ، وَلَقَدْ وَدَّ أَنْ يَحْيِي فِي نَفْسِهِ سَنَةَ آبَائِهِ الْأَوَّلِينَ وَيَحْفَظُ نَسْبَ الْفَاطِمِيِّينَ بِاتِّصَالِهِ بِبَيْتِ كَرِيمٍ؛ فَنَظَرَ وَتَدَبَّرَ فَإِذَا أَنْتَ قَطْرَةُ الْعَطْرِ الْمُشْتَارَةُ مِنْ أَزْهَارِ الْعَرَبِ؛ فَأَوْفَدَنِي إِلَيْكَ خَاطِبًا، وَلَكِنِي لَمْ أَشَأْ أَنْ أَنْفَضَ إِلَيْكَ الْخَبَرَ إِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ هُوَ أَوْلَ النَّافِضِينَ، كَذَلِكَ أَمْرَنِي وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ، فَلَمَّا لَمْ تَجْبِهِ إِلَى طَلْبَتِهِ فِي الْقَدْوَمِ عَلَيْهِ، لَمْ أَرِ بَدَّا مِنْ أَنْ أَنْفَضَ إِلَيْكَ عَبَارَتِهِ، وَأَنْتَ تَرَى أَنْ مَصَاهِرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ...

أَسَامِةُ: آه! وَيْح نَفْسِي مِنْ لَكَنَّةِ تَصِيبِنِي وَعِيْ يَتَوَلَّنِي (لِلخَلِيفَةِ) لَقَدْ كَانَ فِيمَا فَاتَ بَلَاغُ أَيْهَا الْفَارِسِ (يَلْتَفِتُ عَنْهُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ وَيَتَكَلَّمُ) إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدَ الْبَلَادِ لَهُ الْأَمْرُ وَعَلَى الطَّاعَةِ، وَلَكُنْ ابْنَتِي — كَمَا خَبَرْتُكَ — قَدْ خَرَجْتَ مِنْ يَدِي، عَزَّمْتَ أَنْ أَزْفَهَا إِلَى ابْنِ عَمِّهَا.

أَبُو عَلِيٍّ: لَيْسَ الْعَزْمُ نَفَادًا يَا أَسَامِةً.

أَسَامِةُ: كَيْفَ؟ إِنِّي مَا عَزَّمْتُ عَلَى شَيْءٍ تَرَدَّدْتُ فِيهِ؛ ﴿فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، بَيْدَ أَنِّي وَهَبْتُهَا لَابْنِ عَمِّهَا، وَلَنْ يَحْلُّ اللَّهُ أَنْ أَهْبَطَ مَا لَيْسَ مَلْكَ يَمِينِي ... فَإِذَا عُذْتُ إِلَى مَوْلَايِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْشَرَ لَهُ بِلَاغِي وَمَا قَدْ رَأَيْتَ.

الْخَلِيفَةُ: وَلَكِنَ الْهَبَةُ لَمْ تَتَمْ يَا أَسَامِةً ... إِنَّكَ لَمْ تَعْقِدْ لَهُ عَلَيْهَا.

أَسَامِةُ: مَا حَتَّمَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ الْعَدْ كِتَابَةً، لَقَدْ رَضِيَتْ بِزِوْجِ الْفَتَىِ مِنْ ابْنَتِي وَأَنَا وَلِيُّهَا، فَتَمَّ الْعَدْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

الْخَلِيفَةُ: وَلَكِنَ شَرْعَةُ النَّاسِ فِي مَصْرَ أَنْ يَكْتُبُوا بِذَلِكَ؛ حَفْظًا لِلأنْسَابِ وَقَطْعًا لِلارْتِيَابِ.

أَسَامِةُ: إِنَّهُمْ هُنَّاكَ فِي حَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ؛ لَأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ تَنْتُ الأَزْوَاجِ وَنَحْنُ لَا نَخْشَى عَنْتَ، وَقَدْ زَوَّجَتْ ابْنَتِي بِمَلْكِي لِكَفْوَ لَهَا وَلَنْ يَغْلِبَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا، بَلْ لِعَمْرِي لَئِنْ لَمْ أَفْعُلْ ذَلِكَ وَكَانَتْ ابْنَتِي فِي يَدِي، لَأَبْيَثَهَا إِلَّا عَلَى طَاهِرِ الْخَوْلَةِ وَالْأَعْمَامِ.

الْخَلِيفَةُ: وَي... أَفَأَنْتَ لَا تَرَى خَوْلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟!

أَسَامِةُ: أَنَا وَمَا أَرَى أَيْهَا الْفَارِسِ ... أَفْلَانِي الْحَدِيثُ فِي هَذَا الشَّأْنِ.

الْخَلِيفَةُ: إِنَّكَ لَجَرِيءُ الْمَقَالَةِ يَا أَسَامِةً!

أَسَامِةُ: مَا عَهَدْتَنِي أَخْشَى فِي الْحَقِّ لَوْمَةَ لَائِمٍ ... إِنَّ هُؤُلَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ قَدْ اسْتَبَاحُوا الْخَلَافَةَ لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا لَهُمْ مِنْ صَلَةٍ بِفَاطِمَةِ الْزَّهْرَاءِ لَا بِزَوْجِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِلَّا لَتَسَاوَوْهُمْ وَبِنُو الْعَبَاسِ فِي حَقِّ الْخَلَافَةِ ... فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ قَدْ مِيزَتْهُمْ؛ إِذَا كَانَ دَمُ مُحَمَّدٍ فِي ابْنَتِهِ كُلُّ شَرْفِهِمْ، فَلَمَّاذَا نَرَاهُمْ لَا يَسْتَولُونَ إِلَّا الرُّومِيَّاتِ، وَالصَّقْلَبِيَّاتِ، وَالْتُّرْكِيَّاتِ؟!

أَفْ لَهُمْ كَيْفَ يَكْذِبُونَ؟!

الْخَلِيفَةُ: وَيَحْكُ يَا أَسَامِةً! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَرَمَةً ...

## الفصل الأول

أُسامَة: ما دَامَ عَلَى الْحَقِّ، وَلَا أَرَاهُ فِي هَذَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ.

الخليفة (لنفسه): إِذْنَ فَلا سَبِيلَ ...

أبو علي: إِلَّا بالاقتتار.

الخليفة: هَذِهِ جَرَأَةٌ لَا تُحْمَدُ يَا أُسَامَةَ.

أُسامَة: لَا أَجْرَؤُ إِلَّا عَلَى الظُّلْمِ أَيْهَا الْفَارِسُ ... أَمَا سَمِعْتَ مَقَالَ ابْنِتِي؟! ... أَينَ

الفتاة؟

ناعسة (تنادي): أميمة.

أُسامَة: أميمة.

البدوية (تأتي من بين الصنوف): لبيك يا أبي.

أُسامَة: تَعَالِي وَاسْمِعِي ... إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَخْطُبُ لِنَفْسِهِ.

البدوية: يَخْطُبُنِي! فَضْلٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكُنِي لَا أَبْيَعُ ابْنَ عَمِي هَذَا بِتَاجِ بَنِي فاطمة الْأَكْرَمِيَّةِ.

مياح: وَلَا أَنَا إِيَّاكَ بِحُورِ الْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ.

البدوية: إِنْ كَانَ الْعِقدُ سَبِيلُ الْخُطْبَةِ؛ فَهَذَا عِقْدُهُ أَرْدَهُ إِلَيْهِ مَعَ الشَّكْرِ الْعَظِيمِ (تَنْزُعِهِ، وَتَقْدِمِهِ لِلخَلِيفَةِ وَهُوَ مُضْطَرُّ).

الجميع: مرحى! مرحى! (تظل أميمة ممسكةً بالعقد تقدمه إلى الخليفة، وهو ملتفت عنها).

الخليفة: لقد أشعلت الفتاة نار غرامي، وزادني الرفض هياماً.

(عند ذلك تعلق البدوية العقد على يد الخليفة وهي ممدودة، ثم تنسحب وهو في غفوته الأولى، وتبقى يده ممدودة، والعقد مدلٍّ منها وهو لا يشعر).

أبو علي: اقتتَرَ، إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يُسْتَبَدُ، دَعْ لِي الْكَلَامَ (إِلَى أُسَامَةَ) لَقَدْ بَقِيَ لَنَا يَا أُسَامَةَ أَنْ تُبَلِّغَكَ وَعِيدَ الْخَلِيفَةِ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تَجْبِهِ إِلَى طَلْبَتِهِ فَقَدْ أَهْدَرَ دَمَكَ.

أُسامَة: أَهْدَرَ دَمِي! أَخْسَأْتُ وَمَنْ عَنْهُ تَتَوَعَّدُ، تَنْذِرُنِي بِعِيدِ الْخَلِيفَةِ الْمَأْفَوْنَ؟!

وي! لعمرِي لَئِنْ بَغَى عَلَيَّ لِتَمْوِجَنَ الْبَوَادِي بِكُلِّ عَرَبِيٍّ فِي صَدْرِهِ نَفْسٌ يَتَرَدَّدُ، وَلَيْسَ لِي الْوَادِي قَبَائِلَ إِلَى الْقَصَرِيْنَ فَهَدُوهُمَا هَذَا، وَثَلَّوا عَرْشَهُ ثَلَّا.

**مياح:** أراك يا قوم شر الرسل! متى كان أمير المؤمنين يهم بمنكر كهذا، وبخرق كالذى عنده تندرون؟! إن ابنة عمى هذه زوجتي سنة الله رسوله؛ فهل قام أمير المؤمنين لينقض سنة الله رسوله؟! لعمري لئن كان كذلك لأهدرت أنا دمه.

**أبو علي:** ويحك! يا زعنفة العرب.

**أسامة:** خسئت من أحمق ثرثار، أيقال هذا لهذا الفتى؟! لعمري لنقطة دم من دمه لأنشرف من دمائكم أجمعين، انصرفوا خُبُروا خليفكم بما سمعتم، وافتقدوا زادكم على الأبواب، لقد نحرت لكم أكرم نعمي — حسن ظُنُّوكم وإجلالاً لمن أرسلكم — ولكنني وإن غضبت، لا يصرف الغضب نفسي عن الجود، اذهبوا على بركة الله، ولا تحملونا على أذاكم بما تهترون.

**أبو علي:** ويحك! أتقول هذا؟! يا رجال (يدخل عدة رجال مسلحين).

**البدوية:** ويلاه!

**أبو علي:** اعتقلوا هذا الشيخ، وادهبو بالفتاة إلى العشائرات.

**أسامة** (وقد دنا منه بعضهم شاهرين السيف): إليكم يا أعون الشيطان (يجرد سيفه ويضاربهم، ولكنهم في النهاية يضربونه فيقع، ويكون الجماعة الذين ذهبوا ليأخذوا البدوية قد ضاربوا ابن مياح، وهو متعلق بأهدابها حتى جُرح فسقط، وخرج الناس حاملين البدوية على أيديهم).

**البدوية** (أثناء خروجها): حسين، حسين!

**مياح** (وهو ملقى على الأرض): لبيك، لبيك!

**ناعسة** (تعود بعد فرارها فترى أخاهما): أخي، أخي، ويلاه جُرحت؟

**البدوية** (من الخارج): حسين، حسين!

**مياح:** لبيك هأندنا (يحاول النهوض فيسقط)، ويلاه! خارت قواي.

**ناعسة:** ويلي! ويلي (تضمد جرحه بالشال تنزعه عن المنسج).

**البدوية** (على بعد): حسين، حسين!

**ناعسة** (تسمع تأوه عمها فتلتفت): من هذا؟! عمي يُختضر، ياويلتاه!

(تذهب إليه).

## الفصل الأول

أسامي: عاطني سيفي، عاطني سيفي.

ناعسة (تبث عن السيف، ثم تقدمه له): ها هو ذا، رباه!

مياح: أميمة! أميمة!

أسامي (يحاول أن ينهض، ولكنه لا يستطيع، فيمد يده ليقبض على السيف فيتناوله، ثم لا يلبث أن يسقط من يده): سيفي، سيفي ... آه، آه، آه.

(يظل على الأرض يتآوه ويُسدل الستار.)



## الفصل الثاني

يُكشف الستار عن قطعة أرض من بستان الروضة، فيه إلى اليمين مقعد من الخشب جميل الصنع عليه متكأات من الريش، وهذا البستان على نهر النيل، وطريق الجizza ظاهر من وراء الماء، وإلى يسار المسرح بالنسبة للمتفرج قصر عربي جميل البناء، هو قصر الهودج الذي بناه الخليفة الأمر للبدوية. أما هذا القصر فيقع عند المثلثين في منتصف الجدار الأيسر للمسرح، بحيث تبقى مسافة بينه وبين النيل، ومثلثها بينه وبين المتفرجين، وللقصر باب صغير إلى جانبه نافذة صغيرة ذات شباك مربع من النحاس، إذا ارتفع الستار وجدت البدوية جالسةً على المقعد في ملابس جميلة، والمرأة رَيْطةٌ — بفتح الراء، وتسكين الياء، وفتح الطاء، التي ورد ذكرها في الفصل الأول — واقفة إلى يمينها، فهي متوجهة إلى الجمهور، وهي لباس ملبيس الوصيفات، ووجهها قد شُوّه بشيء من الكحل مدلٍ فوق خدتها يستر حقيقة خلقتها الجميلة، والمرأة عصبية المزاج شديدة النشاط، أما البدوية فظاهرة الكآبة في جلستها، ويراهما الرائي قد اتكأت بمرفقها إلى جانب المقعد وأسندت رأسها براحتها؛ ولذا فهي مائلة في الرقدة ...

البدوية: تشفقين علي، وأنت التي أغريت الخليفة بي؟

ريطة: إذا ساءك ما فعلت فحسن ظني شافع، لقد زعمت أنك تعرفين أن الدنيا أربعة أمور: مأكل، ومشرب، وملبس، ومنama. وإن الذي ينالها على أحسن حال هو السعيد، وإنك تعلمين أن هناك شيئاً خامساً لا تستطيع ذكره في حضرتك، فإذا أنا مكتنك من كل ذلك في قصر الخليفة، وكان الخليفة لك زوجاً، كنت ...

البدوية: والقلب يا ريطة؟ ونعمه الحب؟ إني أحب ابن عمِي، ولا أشتهي من الدنيا شيئاً سواه، هو دنياي وجنتي، وما هذا القصر بأحُب إلي من خيْمَة أبي، ولا هؤلاء الأجناد بأعظم من عبيده، وما جلستي بجوار هذا الخليفة بأعز علي من رؤية ابن مياح يحادثني وأحادثه كالحماماتين استقللاً عن الدنيا في مهب الرياح، آه يا ريطة لعمري!

أحب إلي من لبس الشفوفِ	للبس عباءة وتقر عيني
أحب إلي من أكل الرغيفِ	وأكل كسيرةً في كسر بيتي
أحب إلي من قصر منيفِ	وبيت تحقق الأرباح فيه

ما نعيم الحياة يا ريطة إلا راحة القلب، وأين مني راحة القلب وحبيب القلب  
مفقود؟! واحسراه عليك يا حسين!

ريطة: ولكن ماذا ينفع هذا النحيب يا مولاتي؟ لقد قضى ابن عمك في ذمة الله كما بلغت، فهل ينفعك اليوم وجُدك عليه؟ تدبّري يا سيدتي وانظري، أعاد إليك ابن مياح بعد إذ فارقته عاماً؟

البدوية: لو كان في الأحياء ما تركني هنا.

ريطة: إذن فلماذا تمنعني نفسك عن الخليفة، وتسمينه كل هذا الهجر، وهو راضٍ بذلك، صابر حتى تهدأ ثائرة نفسك؟ لعمري لو كنت من القطا ثم مضى عليك مثل ما مضى لاستأنست، ويحيى! ماذا ينفع ابن مياح اليوم وفاؤك وهو في أحضان الملائكة؟!

...

البدوية: أقصري يا ريطة أقصري، أراك تفتحين جراح قلبي وتدمين حبات فؤادي،  
أما يكون الوفاء إلا للأحياء؟! لقد جهلتُ الشعر وأنكرتني المكارم إن خنت عهد ابن عمِي في نواه.

ريطة: ستأسفين يا ابني على عمر تقضينه حزناً وبكاء، وشباب تقضينه هماً  
وشقاء، من ذا الذي يشعر بمصابك ويرق لحالك، بل هي أَن في الناس من يرثي لك  
ويتوجع، فما ينفعك الرثاء؟

البدوية: لا شيء لا شيء، ولكن للحزن لذة وللبكاء نشوة، مما بعض رحمة الله  
وحنانه.

**ريطة:** ولكنك إذا فكرت، ثم قلت ما هذا الخيال الكاذب الذي أنا فيه، ثم نهضت فاقتلت موكب السعادة الم قبل عليك؛ لحمدت عقابك وأسفت على ما فات.

**البدوية:** هيئات! ليس إلى العزاء سبيل.

**ريطة:** ما لي معك حيلة يا بنية، ولكنني أشفقت على شبابك، فأردت أن أبقي عليك؛ لأن الخليفة ...

**البدوية:** إني أعرف ذلك، ولهاذا أعدت نفسي. لن أرضي في الناس بابن عمي بدلاً. أسمعت؟

**ريطة:** والسيف يا أميمة؟

**البدوية:** هذا كل ما كنت أرجي، فإذا عرض لي الموت الذي يجمعني بالحبيب آباء؟! وافرحة القلب ونعماه!

**ريطة:** بارك الله فيك يا أميمة (تُقبلها)، والله لأنقذتك منه يا أميمة، يمين الله على ذلك يا ابني، ولقد سرت غورك الآن عاماً كاملاً، فلم أعد أخشي فضيحة سري.

**البدوية:** ما هذا يا ربيطة! لقد بدل منك، ألهمها سر؟

**ريطة:** سر، وأي سر يا ابني؟ أتقسمين أن لا تبوحي؟

**البدوية:** كيف تطلبين إلي هذا، وقد أفضيت إليك بسري، وما سألك عليه قسماً؟

**ريطة:** إذن فاذكري أني أنا جارية الإمام المصطفى لدين الله زعيم الإسماعيلية.

**البدوية:** من هو هذا؟

**ريطة:** الأمير نزار بن المستنصر بالله أخو الخليفة المستعلي أبي هذا الذي في دست الخلافة.

**البدوية:** أنت جارية عمه الذي قُتل ظلماً في القصرين.

**ريطة:** أجل! أجل! بل أنا أم والدة الأمير حسن الذي هو الآن في برقة فارغاً من ظلم ظالمه حتى يأذن الله ...

**البدوية:** وكيف لا يعرفك هذا الخليفة؟

**ريطة:** يعرفي! كيف يعرفي وقد فررت بولدي إلى برقة قبل أن يُولد، لقد مضى اليوم ست وثلاثون سنة، بيد أنني أخفي نفسي حقيقة تحت هذا الكحل كما تفرست بالأمس خشية أن يفتش أمرى من يعرفي، ولكنني أحمد الله على أنه عمل برأيي فلم يُحضر معك في هذا القصر أحداً من أهل أبيه.

البدوية: وماذا جاء بك إلى ديار أبي في الصعيد؟

ريطة: حيث أعمل لرد الخلافة إلى ولدي.

البدوية: ولكنك لم تفعلي شيئاً، أكنت تريدين أن تستنصرى بقبيلتنا؟

ريطة: بقبيلتكم؟ قبيلتكم التي عاونت المستعمر على قتل سيدى!

البدوية: إذن فلماذا جئتنا؟

ريطة: لم أشأ أن أطرق القاهرة حتى أعيش بين عرب الصعيد ونوره عهداً أصقل به ما صدأ على لسانى من لهجة أهل المغرب، حتى لا يسترثيني هذا الخليفة إذا أنا حادثته؛ فقد علمت أنه كثير الحذر يخشى أنصار ولدى، ولما كنت قد علمت أنه مولع بالأعرابيات، وكنت قد سمعت بما من الله به عليك من جمال الحور ...

البدوية: وي، وي!

ريطة: رأيت أقرب خطة للبلوغ إليه والقرب من نفسه أن أعلمك بأمرك، ولم أكن أدرى أنك عالقة القلب بابن عمك.

البدوية: كيف؟ ألم أخبرك أنني كنت على وشك أن أُزف إليه؟

ريطة: حسبتك ككل مخطوبة يا بنية، إن تكون تحب خاطبها فإنها لا تأبى أن تكون لخاطب أحسن منه، على أنني كنت ذات مقصد زعمت تحقيقه يدنيك أنت من السعادة.

البدوية: آه يا رطبة، انظري ماذا فعلت؟! قتلت لي أبي، وابن عمى، وعبد أبي، قوضت بيتي، ونزعوني من بين ذراعي من أحبت من أجل غرض لك قد لا يتحقق.

ريطة: صه! لا تنفرى، إنه محقق بإذن الله.

البدوية: أنتم أيها الناس تستحلون كل شيء باسم الله في سبيل أنفسكم، ولا تعرفون أية جريمة تقتوفون، عفا الله عنك يا رطبة ... ومن ذا الذي جمعك بابن الأفضل؟

ريطة: جمعتني به المصلحة، إنه يضمّر السوء لهذا الخليفة.

البدوية: يضمّر السوء، وهو الذي كان معه يوم سرقني، بل هو الأمر بذلك؟!

ريطة: لم يكن يستطيع أن يفعل غير ذلك ليوغر صدر الأعراب، إنه يريد أن يملأ الدنيا له كرهاً.

البدوية: لم هذا؟

**ريطة:** لأنه قتل له أباه، وأبوه الذي بايعه بالخلافة كما بايع أباه من قبل، قتله وهو ذو الفضل عليه، كما قتل وزيره المؤمن بعده لماً أراد هذا أن يستخلف أحمد بن زرار.

## البدوية: أحمد أخا ولدك حسن؟

**ريطة:** أجل، كان أكبر أبناء سيدى نزار، وكان قد فر إلى اليمن حتى دعاه الوزير المأمون البطائحي إلى القاهرة سراً فجاء، واستكشف الأمر أمره، فقبض على أحمد وعلى المأمون وإخوه الخمسة، وقتلهم.

البدوية: يا الله!

**ريطة:** واليوم لا يستوزر الخليفة وزيرًا ولا يولي أميرًا، أفتتعجين أن يتحقق أبو علي لزوال دولته عنه، وكان الملك في بيته منذ عهد جده أمير الجيوش بدر الجمالي.

**البدوية:** إذن، فهو يعمل في الخفاء على خلعه.

**ريطة:** أجل وتوالية ولدي، أفي ذلك ريب؟! لذلك يممت قصره، وألقيت إليه نبأي، وأقرني علىرأيي. وذهب الخليفة من فوره، فرحل هذاإليك، ثمأتىت، وجعلني في خدمتك.

## البدوية: أو الرقابة علىَّ؟

**ريطة:** أنا التي دبرت ذلك بمعونة أبي علي، وإنما رضي بذلك ليأمن سعاية نساءه.

## البدوية: وما كان قصدك مني؟

**ريطة:** لم يكن لي منك قصد إلا أن أصل إلى الخليفة، وها قد وصلت، ولكنني غير قادر على تحقيق غرضي، وبما أنك يا بنبي لا تريدينني، وقد سببت غورك، فتبين لي أنك لا تودين اللقاء هنا، تشتهن العودة إلى بلادك، فكوني معى، واتكل على الله.

الدوة: وكيف ذلك؟

**ريطة:** أريد أن تساعدني على قتله.

**البدوية** (بفزع): قتله! (تصمت) هذا جرم فظيع.

**ريطة:** وهو ... ألم يقتل أبيك، وain عمك؟ ... دخل عليهما ضيّقاً، وخرج سفاحاً.

البدوية: بلى! بلى! ولكن جزاءه بيد الله لا بيدي يا ربيطة، كيف ألقى بنفسي في نار جهنم؟!

ريطة: لقد حسبتك تتأرين لقومك يا أميمة، هل يترك العربي ثأره؟!

البدوية: كلا، ولكن لا يليق بالعربية القتل، ولا بالرسلمة الختل.

ريطة (لنفسها): يا قوة الله! لقد خاب الأمل، ألا تريدين الخلاص من هذا الخليفة؟

البدوية: بلى!

ريطة: أنا أخلصك منه، ولكن على شرط واحد.

البدوية: وهو؟

ريطة: إذا دخل عليك ثم استلقى في فراشه ونام، أن تنهضي تفتحين الباب، منه تخرجين إلى الباردية، وأدخل أنا عليه بالقضية.

البدوية: ولا هذا أيضًا.

ريطة: إذن فوالله لا تبلغين العتق الذي تستهين.

البدوية: لعمري لا، الرق أحب إلي من أن تكون لي يد في قتيل.

ريطة: ليكن ذلك، أترضين بالخلاص على أن تتركي باب غرفتك، وأنت فيها وحدك مفتوقًا ثلاثة ليالٍ متواصلة؟

البدوية: ولم هذا؟

ريطة: لا شيء سوى أن أدخل إليك، ثم أحملك أنا ورجالي برقاً بقسمي ما دمت قد أقسمت لك بذلك.

البدوية: لقد كان في الإمكان ذلك منذ عهد بعيد، فلماذا تتجألين إليه اليوم؟

ريطة: أريد أن أبعدك عن مشهد الدماء.

البدوية: أليس في ذلك تأمر؟

ريطة: إني لا أدعوك إلى مناصرتنا، وإنما أعمل على البر بقسمي وعلى أن أحفظ عفافك عليك، فإذا شئت أن تحتفظي به فهذا تدبيري.

البدوية: أقره، ولا أشهد.

ريطة: هذا ما أردت، والآن فانهضي ندخل الهوج، اليوم عيد النبوز وسيف أهل مصر والقاهرة على هذه الحديقة على عادتهم كل سنة، هلمي ...

(تنقدمها، تفتح الباب الصغير، وتدخل وتتبعها البدوية، ثم قبل أن تدخل تقف وتنشد.)

البدوية:

رب إني أنيب مما أراه  
حائماً في سماء هذا المقام  
إن نفسي تتوق للعتق لكن  
بئس عتق يُنال بالإجرام

(ويفتح الباب وتدخل، وإذا بالأمير أبي علي قد دخل يمشي الهويني من اليمين،  
ثم يتقدم هنا وهناك، وينظر ثم ينطق بسر اللقاء).

أبو علي: نيروز، نيروز!

ريطة (تطل من النافذة الصغيرة التي في المرسح المفصلة بمربعات النحاس):  
غدير، غدير!

أبو علي (يتقدم من النافذة): أنت هنا يا رطبة!  
ريطة: مرحباً بأبي علي.

(أثناء الحديث يدخل أسامة، وهو مُرتدي برسنا أبيض ذا قبعة، وهو محني  
الظهر قليلاً، وهيئته تدل على أن بفؤاده خبلاً، ثم يقترب من الذيل، ويجلس  
يأخذ بعض عشبة، ويأكل كالقردة).

أسامة: هذا مكان جميل، ومرعى خصيب.

أبو علي: ماذا فعلت يا رطبة؟

ريطة: لم ترض البدوية أن تقتل الرجل بيدها.

أبو علي: ربما كانت قد عادت فأحببت الرجل.

ريطة: أما هذا فلا، لقد سرت غورها، قلبت عليها وجوه النصح والتزيين، فلم تزد  
إلا تعلقاً بابن عمها وكرهاً للرجل.

أبو علي: كأنها لا تستطيع ...

ريطة: إنها تأباه، وتتفر من خشية عذاب الله.

أبو علي: أهي من هؤلاء؟

ريطة: بل لقد أبىت أن تفتح باب غرفتها والرجل فيها، ولكنها وعدت أن تفتحه إذا لم يكن بها ثلاثة أيام متتالية، وإن أنه يأتي إليها مرّة كل يومين إلى آخر الليل إذا عاد من مجلسه في القاهرة، فما عليك إلا أن تحضر رجالك، أدخلهم غرفتها وهي نائمة، حتى إذا دخل الثعلب ظفروا به إذ ذاك.

أبو علي: أحسنت أحسنت، سأعد العدة للغد، أصبح اليوم أمر الروضة وحراسها في يدي، فاطمئنني.

ريطة: هذا خبر سار.

أبو علي: وأسرّ منه أن سيدى الأمير حسناً حاضر إلى مصر قريباً.

ريطة: حاضر! أوصلك منه رسالة؟

أبو علي: بل من شيخ الجبل، ينبئني أنه أرسل يستدعى الأمير من مخبأه الذي تعلمين، يوصيه بالرحيل إلى مصر سراً، كما أنه خبرني أن بمصر الآن فتى غريباً أرسله في خدمة الله.

ريطة: وافرحتاه! وافرحتاه! هل أخبرك عن اسم هذا الفتى؟

أبو علي: قال إنه يدعى اليوم «ذو الفقار».

ريطة: ذو الفقار اليوم، فما اسمه الأصلي؟

أبو علي: لم يخبرني به، ليس من الصواب ذكر اسمه، ذو الفقار هذا اسم سيف سيدنا علي عليه السلام.

ريطة: عليه السلام، وما علامته؟

أبو علي: صورة كبش ملوّن في عمامته.

ريطة: صورة كبش؟

أبو علي: أتعارفين ما كنایة الكبش؟

ريطة: لا أدرى

أبو علي: الكبش كنایة عن فداء فرقة الإسماعيلية، فأنت تعلمين أن إبراهيم الخليل لما رأى في المنام أن الله يأمره أن يذبح ولده إسماعيل لم يتزدد في إطاعة ربها، وهم بذبحه، فأدركه الله وافتداه من السماء بكبش حنيد.

ريطة: وهل هؤلاء الإسماعيلية ينتسبون إلى ابن الخليل إبراهيم؟

أبو علي: كلا، ولكن تيمن، وتشبه جميل، والآن أستودعك الله، إنني سأبحث عن هذا الفتى حتى ألقيه، ثم آتي به إليك في أول الليل، فأدخليه حيث شئت.

ريطة: حسن! في وديعة الله.

أسامة: ما ...

ريطة: ما هذا؟! رجل يستمع! قُضي الأمر!

أبو علي: لي الويل. ما هذا ... اخْتَفِي أنت (تحتفي، ويدهب أبو علي صوبه) من أنت يا رجل؟

أسامة: أنا ... ألا تعرفني؟

أبو علي: ويحك من أنت؟ ... متى جئت هنا؟

أسامة: جئت منذ جئت (هذا التسكين على تاء الفاعل في جئت مقصود كي لا يعرف أبو علي هل يعني جئت بالضم أم جئت بالفتح).

أبو علي (بخوف): ولماذا جلست هنا؟

أسامة: أبحث عن حماري.

أبو علي: تبحث عن حمارك؟ أين هذا الحمار؟

أسامة: أنت أخذته (ينهض) ... هاتِ حماري ... حماري الأصهب.

أبو علي: ويحيي إني ما رأيت لك حماراً.

أسامة: إذن فعليك اللعنة.

أبو علي: ويلاه ... من هذا الرجل؟ إني أرى به شبه الحاكم بأمر الله كما وصفوا، أيكون هو الحاكم؟! لقد قال شيخ الجبل إنه سيعود إلى الدنيا بعد قرن من الزمان ...

أسامة: أجل أنا الحاكم.

أبو علي: إنه يعرف ما في القلوب، ويلاه! لقد صدقت نبوءة الشيخ، متى نزلت من السماء يا مولاي؟

أسامة: أنا ما نزلت من سماء، ويحك إني كنت في الماء.

أبو علي (النفسه): لا شك في ذلك، قيل إن ملابسه وجدت ببركة الحبش ولم توجد جثته، فمن أعطاك هذه الملابس يا مولاي؟

أُسامَة: هذه ملابس الجنة، حاكتها لي الحور (يذهب صوبه) أين حماري قلت لك؟  
لقد أخرجته الآن من البحر وجمعت له هذا العشب؛ فـأَيْنَ ذهب؟

أَبُو عَلِيٍّ: والله ما رأيت حمارك الكريم يا مولاي.

أُسامَة (يصفق بيديه آسفًا): إنه ينكر حماري الأصبه.

أَبُو عَلِيٍّ: آه! لي الويل! تذكرت الآن أنه لا يعني حماره الذي كان يركبه، بل يعني شريعته التي سنها وخالفها الناس، لقد كان يكنى عنها بالحمار (إلى أُسامَة) كلا يا مولاي لا أنكره.<sup>١</sup>

أُسامَة: إذن فعلني به، عجل! هاتِه!

أَبُو عَلِيٍّ: كيف؟ إنك تعلم أنني رجل جاهم لا أعرف الحق، فدلني عليه أَكُن لك نعم النصير.

أُسامَة: لا شأن لي، هاتِ حماري (يقبض على رقبته) هاتِ حماري، وإلا جعلتك بين فخذدي (يهم ببركته ويجره).

أَبُو عَلِيٍّ: آه! آه! خادمك أنا يا مولاي.

أُسامَة: أنت خادمي؟! ليس لي خادم لقد قُتِلوا جميعاً في الصعيد ليلة سرقوا ابنتي.

أَبُو عَلِيٍّ: ابنته! من هذا؟ (يتمعن فيه) من تكون يا رجل؟

أُسامَة: هلْ! أوصلي إلى الفسطاط وإلا قتلتك.

أَبُو عَلِيٍّ: ليس هذا فعل إله ولا ولی، أتراني عثرت بمجنون؟

أُسامَة: وأنت أيضًا تسميني مجنوناً ... أنت أيضًا؟! هاتِ حماري، هاتِ حماري (يقبض على كتفه، وينظر في وجهه) آه أنت؟ أنت هنا.

أَبُو عَلِيٍّ: هذا أبو البدوية الذي صرعته، ويلاه! حم القضاء.

أُسامَة: عرفتك يا سارق ابنتي، فلا مفر لك مني (يقبض على رقبته).

أَبُو عَلِيٍّ: ويلاه، النجدة! النجدة!

<sup>١</sup> كان أبو علي هذا – ويدعى قطيفة – يؤمن بإمام منتظر، ولما قضي الأمر ضرب السكة باسم «الإمام المنتظر».

أُسامَة: لَا تَصْحُ، وَإِلَّا قَتَلْتَ عَلَى الْفُورِ.

أَبُو عَلِيٍّ: وَمَاذَا تَرِيدُ مِنِّي؟ هَذَا سَامِعٌ فَمُرِّ بِمَا تَرِيدُ.

أُسامَة: أَرِيدُ ابْنَتِي، أَينَ هِي؟

أَبُو عَلِيٍّ: فِي هَذَا الْقَصْرِ، فِي هَذَا الْقَصْرِ، هَذَا هُوَ الْهُودُجُ الَّذِي ابْتَنَاهُ لَهَا الْخَلِيفَةُ خَدْرًا.

أُسامَة: خَدْرًا لَهَا، وَقَبْرًا لَهِ!

أَبُو عَلِيٍّ: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَحْقِّقَ ذَلِكَ.

أُسامَة: كَيْفَ؟ أَنْتَ تَرْجُو لَهُ ذَلِكَ؟ أَنْتَ!

أَبُو عَلِيٍّ: كَيْفَ لَا؟ لَقَدْ قُتِلَ لِي أَبِي الْمَلْكِ الْأَفْضَلِ، وَأَنْزَلْنِي عَنِ الْوِزَارَةِ، وَصَادَرْنِي فِي مَالِي، وَأَرَاهُ قَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا دَمًا وَنَحْيَيًا، اعْفُ عَنِي يَا أُسامَةً! اعْفُ عَنِي ...

أُسامَة: أَعْفُوْ عَنْكَ! عَنْكَ أَنْتَ! وَأَنْتَ الَّذِي زَيَّنْتَ لِهِ سَرْقَةَ ابْنَتِي ...

أَبُو عَلِيٍّ: لَا أُنْكِرُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمْرَنِي أَنْ أَسْتَصْبِبَ، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَخَالِفَ أَمْرَهُ، وَهُوَ يَسْتَرِيبْنِي، بِيدِ أَنِي رَأَيْتُهُ أَعْمَى فِي غُوايَتِهِ، فَكَرْهَتُ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى النُّورِ حَتَّى يَكْرِهَهُ النَّاسُ طَرًّا، وَلَا سِيمَا الْأَعْرَابَ؛ لَأَنَّهُمْ كَانُوا أَنْصَارَ أَبِيهِ عَلَى نِزَارٍ.

أُسامَة: نَحْنُ لَمْ نَكُنْ أَنْصَارَ أَبِيهِ بَلْ أَنْصَارَ أَبِيكَ، إِنَّهُ هُوَ الَّذِي دَعَانَا لِمَقَاوِلَةِ نِزَارٍ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، آهٌ! لَقَدْ طَالَمَا حَزَنْتُ إِذْ كُنْتُ تَحْتَ لَوَاءِ أَبِيكَ، وَلَكِنَّكُمْ مَعْشَرُ الْوَزَرَاءِ تَعْمَلُونَ لِأَنْفُسِكُمْ بِاسْمِ الْخَلْفَاءِ، إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ ازْوَارًا انْقَلَبْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَرَمَيْتُمُوهُمْ بِوَيْلَاتِ الْأَمْرِ.

أَبُو عَلِيٍّ: لَقَدْ كَانَ أَبِي حَسْنَ الظَّنِّ بِأَبِيهِ وَقَدْ صَدَقَ ظَنَّهُ، وَلَكِنَّهُمْ هَذَا مَاذَا فَعَلُوا بِأَبِيهِ وَبِالْعَرَبِ وَبِالْمَلَةِ وَبِالَّدِينِ؟! هَلْ مَعِي يَا أُسامَةُ لِيْسَ هَذَا مَكَانُ الْحَدِيثِ، تَعَالَ مَعِي إِلَى الدَّارِ أَحَدُثُكَ أَعْجَبَ الْأَحَادِيثِ.

أُسامَة: وَلَكِنِي أَرِيدُ ابْنَتِي، لَا أَفَارِقُ هَذِهِ الْأَرْضَ حَتَّى أَرَاهَا.

أَبُو عَلِيٍّ: سَتَرَاهَا، وَلَكِنْ لَا سَبِيلٌ إِلَى هَذَا الْآنِ، وَإِنْ وَقَتْتُ أَلْفَ عَامٍ.

أُسامَة: لَسْتُ أَرِيدُ أَنْ أَمْلأَ مِنْهَا عَيْنِي، كَلا، كَلا، إِنَّهَا فِي قَلْبِي، وَلَكِنِي أَرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ، أَغَلَّبُهَا الرَّجُلُ عَلَى عَفَافِهَا فَأَفْضِيَ نَحْبِي؟ أَمْ ظَلَّتْ كَمَا أَخْذَهَا مِنِّي؟

أبو علي: أطمئن يا أسامة، إنها على ما عهدها، لقد كانت في القصرين حتى أسبوعنا هذا، ثم إذ تم بناء هذا القصر نقلها إليه، ولم تستصحب معها أحداً من أهل القصرين. إن خادمتها جارية لي، وتعرف كل شيء.  
أسامة: بارك الله فيك بما بشرت!

أبو علي: ولكن خبرني، أراك تتكلم عنها كلام العقلاء، أكنت تدعى الجنون؟  
أسامة: لا، والله يا ابن أمير الجيوش، ولكنني ما زلت منذ سرق الخليفة ابني، أهيم في الفلووات، أقصد قبائل الأعراب في الصعيد، أشكو إليهم بثي لما أصابني في ابني، وأستهضهم للأخذ بالثار من انتهك حرمتى، فما نفروا معي، بل قال عنى الجمع إني مجنون إذ أرفض زواج الخليفة من ابني، فهمتُ في الفلووات لا أدرى بم من استنصر حتى رأيتني أصرخ من وجدي في الفضاء: أميم أميم، ولا أسمع إلا صدى صوتي، فملكتي من ذلك خبال يساورني من بعده بعض الأحيان جنة أتبينها في نفسي، وأهم أفلع عنها فلا أستطيع، ولقد اندفعت بي قدماي إلى جزيرة الروضة هذه؛ إذ علمت أن الخليفة يبتني بها قسراً لابنِي، فلما نظرت في البحر زعمت أنه يبلغها صوتي، فناديتها، ثم ناديتها، وإذا ردَّ البحر صوتي ولم تُجب، عاودني الجنون، فهمتُ مرة أخرى حتى بلغت هذا المكان، ولكنني في رشدي يا أبا علي لولا تهدم جسماني.

أبو علي: هون عليك، هون عليك، إني سأريك ابنتك.  
أسامة: بل أريد أن أعود بها إلى الصحراء، أطنب لها خيمتي كما كانت، وأقعد بها ابنتي كما كانت، ثم أزفها إلى ابن أخي حسين.  
أبو علي: سأعينك على هذا، ولكن خبرني أين ابن مياح اليوم؟ لقد خبرت أنه مات قتيلاً.

أسامة: كلا، كلا، لا قدر الله، إنه كان ملقى على الأرض صريعاً لا قتيلاً.

أبو علي: وأين هو الآن؟

أسامة: لا أدرى.

أبو علي: ألم تسمع عنه شيئاً؟

أسامة: قيل إنه ذهب إلى الشام.

أبو علي: لماذا؟

أسامة: لا أدرى.

أبو علي: أيكون قد ذهب إلى حلب؟

أسامة: هكذا خبروني.

أبو علي: يريد لقاء شيخ الجبل.

أسامة: لم يخبرني بذلك أحد ... بل أجل، هكذا قال لأخته ناعسة.

أبو علي: إذن فهو الذي عاد اليوم من حلب — عنه ورد في الخطاب — لا شك في

ذلك، لقد حان أن أنتقم لأبي، وأعيد الملك في بيت أمير الجيوش.

أسامة: ماذا تعنى؟

أبو علي: لا يعنك هذا، ستُردد إليك ابنتك عما قريب، ولكنك لن تراها حتى ترى ابن أخيك أولاً.

أسامة: بل أراها بحق الله عليك، أين ابن مياح اليوم؟ لعله لا يأتي أبداً.

أبو علي: بل إنه بمصر.

أسامة: ولكنك لم تخبرني، لماذا أنتظر حتى يعود ابن مياح؟

أبو علي: لأنه معه مفتاح ذلك، إن شيخ الجبل زعيم الإسماعيلية ناقم على الخليفة؛

لأن أباه قتل سيدهم الأكبر نزاراً عمه الأكبر، وأننا اليوم على رأيهم.

أسامة: أنت أيضاً يا ابن الأفضل؟

أبو علي: أنا قبل كل إنسان.

أسامة: أتريد قتل أمير المؤمنين؟

أبو علي: هذا ما إليه أقصد إن وفقي الله لذلك.

أسامة: إذن، فإليك عن أيها الخائن. تقتل أمير المؤمنين، تقتل خليفة رسول رب العالمين، إليك!

أبو علي: ويحك يا أسامة! ماذا أصابك؟

أسامة: تقتل ابن فاطمة الزهراء بنت خير من أكلت الأرض، وأظللت السماء؟!

أبو علي (النفسه): أترى الرجل عاودته جنته، لعنة الله عليه ... (لأسامة)، وابنتك

أترضى لخليفة رسول الله أن يستبيح عرضها؟

أُسامَة: مِنْ هَذَا؟

أَبُو عَلِيٍّ: خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ.

أُسامَة: يُسْتَبِحُ عَرْضُهَا؟!

أَبُو عَلِيٍّ: أَجَل.

أُسامَة: وَيَحْكُ! أَيْسَتْبَاحُ عَرْضِي وَأَنَا حَيٌّ؟!

أَبُو عَلِيٍّ: مَا هَذَا؟ أَرَى الرَّجُلَ قَدْ جَنَّ.

أُسامَة: مَا جَنَ إِلَّا أَنْتَ!

أَبُو عَلِيٍّ: وَلَكِنْ أُمِيمَةُ ابْنَتِكَ، ابْنَتِكَ الَّتِي كَانَتْ كَزَهْرَةُ الرُّوْضِ يَانِعَةً نَضْرَةً. تَشْرُقُ عَلَى الدُّنْيَا كَأَنَّهَا الشِّعْرَى يَا أَسَامِةً، أَنْسَيْتَ أُمِيمَةً؟ أَنْسَيْتَ الَّذِي أَخْذَهَا مِنْ بَيْتِكَ عَنْوَةً، وَكَانَتْ بَيْنَ ذَرَاعِيكَ وَذَرَاعِي زَوْجَهَا الَّذِي أَحْبَبَكَ. آهٍ! يَا لِمَرْوِعَةِ الْعَرَبِ! يَا لِشَرْفِ الْإِبَاءِ! مَسْكِينَةٌ أَنْتَ يَا أُمِيمَةً!

أُسامَة (يَبْكِي): ابْنَتِي ابْنَتِي!

أَبُو عَلِيٍّ: لَا تَبْكِ، لَا تَبْكِ، مَاذَا تَبْكِي؟! دُعِ الْبَكَاءُ لِابْنَتِكَ وَحْدَهَا، أَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ صَهْرًا لِلْخَلِيفَةِ، وَهِيَ تَأْبِي إِلَّا أَنْ تَحْفَظَ عَفَافَهَا عَنِ الْعَرَبِ، سَأَخْبُرُهَا بِذَلِكَ عَسْيَ أَنْ يَقْطَعَ الْيَأْسَ سَيْلَ دَعْمَهَا، وَتَسْتَسْلِمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ.

أُسامَة: لَا، لَا تَخْبُرُهَا بِاللَّهِ، ابْنَتِي أُمِيمَةً، أَرِنِيهَا.

أَبُو عَلِيٍّ: لَنْ تَرَاهَا.

أُسامَة: أَرِنِيهَا بِحَقِّي عَلَيْكَ.

أَبُو عَلِيٍّ: وَإِذَا لَقِيْكَ الْخَلِيفَةَ؟

أُسامَة: أَقْتَلَهُ بِيَدِي! بِيَدِي، وَأَنْتَقُمْ.

أَبُو عَلِيٍّ: وَلَكِنْكَ أَنْكَرْتَ مِنِي ذَلِكَ الْآنَ!

أُسامَة: أَنَا؟!

أَبُو عَلِيٍّ: أَجَل، أَنْتَ!

أُسامَة: لَا، وَرَبُّ الْكَعْبَةِ لَا ... أَجْنَنتَ أَنَا حَتَّى أَنْكَرْتَ عَلَيْكَ هَذَا.

أَبُو عَلِيٍّ: إِذْنَ، فَتَعَالَ نَرْتَقِبُ الْفَرْصَةَ كَمَا خَبِرْتَكَ، إِنَّكَ إِنْ تَبْدُ لَهَا الْآنَ تَنبِهَ الْخَلِيفَةِ، فَقَطَّعَتِ السَّبِيلَ عَلَى ابْنِ أَخِيكَ، أَنْتَ رَجُلُ شِيخٍ فَاتَّرَ الذَّرَاعَ مُتَهَمِّدًا كَمَا قَلْتَ، فَاعْتَدْتَ عَلَيْهِ، اعْتَدْتَ عَلَيْهِ، وَتَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ فِي تَدْبِيرِ الْأَمْورِ.

**أَسَامِيْهُ:** أَنَا فَاتِرُ الذَّرَاعِ؟! أَنَا فَاتِرُ الذَّرَاعِ؟! (يُعَدُ قَامَتَهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُسْتَقِيمُ تَامًا  
الْاسْتَقَامَة) آه! لَنْ تَفْتَرْ لِعْرَبِيَّ ذَرَاعَ، وَفِي صَدْرِهِ نَفْسٌ يَتَرَدَّدُ ... وَيَحْكُ يَا أَبَا عَلِيٍّ، هَذَا  
ذَرَاعِي إِذْنَ فَتَرْبَ ذَرَاعِي (يَجْرِدُ مِنْ تَحْتِ بَرْنَسَهُ سِينَّا كَانْ يَخْفِيهِ).

**أبو علي: أغَمِدْ، أَغْمِدْ، وَتَسْتَرْ! لَيْسْ هَذَا أَوَانْ تَجْرِيدَهُ.**

أُسَامَةُ (يَغْمِدُ السَّيْفَ): صَدَقَ!

**أبو علي:** تعالَ معي إلٰي داري، هلم! إنك فاضحٍ إنْ بقيت.

**أسامة:** لا يأس بالانتظار حتى حين.

**أبو علي:** هلم (لنفسه) ليس هو المجنون بل أنا، هلم (يتقدمه).

أُسَامَةُ :

ابنتي ابنتي رويدك إبني  
كافكفي الدمع إن دمعك غال  
أتفقى آثار من ظلموك  
لا تذليليه أو يموت أبوك

(يخرج من اليمين، وراء أبي علي، وعند ذلك يسمع لغط قوم يدنون من جهة اليسار لأنهم آتون من مصر الفسطاط، يعزفون، ويطلبون، ويرقصون، ويغنون، وكأن بينهم جارية يرد عليها الجماعة، ثم يدخلون فتراهم في ملابس زاهية على وجوههم لعة البشر والسرور؛ لأنهم في عيد هو عيد النิروز، وبينهم فتى في الثانية والعشرين من عمره قد تلثم وتحنك، وعلى رأسه شال عمامة نقشت فيه صورة كيش باللون الأحمر، أما ما كانوا يغنون فهو).

## المقدمة:

زهـر الربيع مـثـل الأقـمـاز  
هـاتـ الـكـؤـوسـ هـاتـ الأـوتـازـ

(ويرقصون على هذا النغم، ويردد المغنون وراء الجارية المغنية، ثم تنبرى المغنية تغنى البيتين الآتيين).

البدوية

المغنية:

عيد البلد عيد النيروز<sup>٢</sup>  
ولله ما نبيعه بكنور<sup>٢</sup>  
هات الخوابي هات الكنوز  
نملا ونشرب ونغنّي

ويردد المغنون البيتين الأوليين، زهر الربيع ... إلخ. تنبرى المغنية وحدها تغنى  
البيتين الآتيين.

المغنية:

عيدنا جمع آسيا وموسى  
وأحمد ودميانة وعيسي  
عشان ما نطرب ونغنّي<sup>٣</sup>  
امتنى نبطل دي الهوسه

يردد المغنون البيتين الأوليين: زهر الربيع ...

المغنية:

قولو معى يا اهل بلدنا  
الله يخلي اللي جمعنا  
عشان ما نفرح ونغنّي  
ويفرق اللي فرقنا

(ويردد المغنون زهر الربيع ... إلخ، ويشربون جمِيعاً، ويعودون إلى الرقص.).

مياح (يرقص مع الجميع، ولكنه لا يشرب، ثم تراه يقف من آنٍ لأنَّ ينظر إلى النافذة  
ثم يتأنَّه ويقول): آه! آه! آه! هنا، أُمِيمْ هنا، أُمِيمْ آه.

<sup>٢</sup> فكرت الحكومة في جعل عيد وفاء النيل يوم النيروز ليحتفل بالعيدين في وقت معاً، وحسبنا لو جعلتهما في يومين متتاليين ...

<sup>٣</sup> قد أبطلنا هذه الهوسة منذ سنة ١٩١٩، والحمد لله!

**المغنية: ما بال أمير النيوز يتأنّه؟**

**مياح:** طرباً لصوتك يا مليحة، هلم (يعود الرقص، فإذا اشتغل الجمع بالرقص  
عاد إلى الجدار وأخذ يتأنّه) أميم! أميم! آه!

**المغنية** (بعد أن تكون قد غنت الدور الرابع والراقصون رقصوا): كأني بهذه الأميرة  
قد أنهكه الرقص ...

**مياح (يتتبه):** غني يا مليحة، غني البيتين اللذين حفظنك إياهما في الخان.

**المغنية:** جبًا وكرامًا، هلم يا بنات!

( هنا تفتح نافذة القصر، وتظهر فيها البدوية، ووراءها ربطه، وتأخذ البدوية  
تستمع للغناء والرقص):

نعمـةـ الـحـبـ يـاـ حـبـيـ فـؤـادـيـ	مـتـعـةـ مـنـ نـعـيمـ جـنـةـ عـدـنـ
فـاحـفـظـ الـحـبـ بـالـلـوـفـاءـ لـتـحـظـىـ	بـنـعـيمـ الـفـرـدـوـسـ فـيـ الـمـنـزـلـيـنـ

**البدوية:** كأني أسمع شعري يا ربطه!

**مياح** (لما رأها قد فتحت النافذة وقف مضطرباً بجوار القصر تحت النافذة تقريباً،  
ويتقدم ويتأوه وهو قابض على يسار صدره بيده): آه! آه!

**أحد الجمع:** دعونا من هذا النشيد يا رفاق، إننا نحن أهل مصر، ولنا الحق في تسخير  
أغاني العيد على هوانا، لا على هوى فتى غريب عنا وعن بلادنا، هلم يا فاطمة أعيدي ما  
قلت أولاً أو فزيدي، هلم! (يرقصون سكوتاً، ويشتغلون بالرقص مدة كلام البدوية) ...

**البدوية:** فتى غريب! أ يكون ابن مياح بينهم؟! ويلاه! أين مني اليوم حسين؟ وأين  
أبي؟ هل ترد القبور وداعها؟! واحسرة النفس عليهم! وأشقائي، وحرقتني، وعدابي!

**أحد الجمع** (الذي هو المتكلم سابقاً): لماذا لا تغنى يا فاطمة؟

**غيره:** إنها لا تريد أن تتقض رأي الجماعة.

**أحد الجماعة:** كيف ذلك؟

**غيره:** إننا ارتضينا هذا الفتى الغريب أميراً لنيروزنا، ومن العيب أن ننقض ما  
اتفقنا عليه.

**أحد الجماعة**: هذا صحيح، ولكن البيتين لا يناسبان المقام.  
**مياه** (بصوت متالم): أي مقام غير هذا لهذا الشعر يا رفاق؟! أي مقام؟! فتشوا في خبايا القلوب، وانظروا من فيه، لعمري لو نظرتم لوجدت ...  
**أحد الجمع، وغيره**: البدوية، البدوية.  
**الجماعة** (على إثر ذلك): البدوية.

**مياح: أجل! هي، هي** (ويكون كلام ابن مياح بين كلام الثلاثة الأول، وكلام الجماعة،  
ويعلق صوته ولا يبالي، وإذا انتهى الجمع من النطق كان ابن مياح يتم قوله) هيه.  
**البدوية: صوت، والله!** ولكن أين هو؟ إبني لا أرى له شبحاً، وإن كان خياله يتعدد  
أمام ناظري.

**رِيَطَةُ:** تُريثِيْ يَا مُولَاتِيْ، لَا يُلِيقُ بِكَ أَنْ تَفْضُحِيْ أَمْرَكَ فِي النَّاسِ.  
**أَحَدُ الْجَمْعِ:** غَنِيْ يَا فَاطِمَةُ، غَنِيْ مَدْحُ الْبَدُوِيَّةِ الَّذِيْ أَعْدَدْتَ عَسَاهَا تَنْظَرُ إِلَيْنَا، إِنْ  
هَذَا الْيَوْمَ لَا يُعُوضُ، إِنْهُ يَوْمٌ يَعِيدُ فِيهِ أَهْلُ مَصْرُ جَمِيعًا، وَقَدْ أَسْقَطُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْأَخْوَةَ.  
**غَرْبَهُ:** الدِّينُ لِلْدِيَانِ إِنْ كَانَ هَنَاكَ دِيَانَ! هَا! هَا!

**الجميع: ها ها ها.**  
**أحد الجمع: زد على ذلك أن الخليفة لا يأذن لأحد من رعاياه بدخول حديقة الروضة إلا في عيد النيروز هذا، غني يا فاطمة.**  
**المغنية: حَمَّاً وَكَرَامَةً:**

يا أَصْحَابِي تَعَالُوا وَانظُرُوا  
إِنْ بَدَرَ اللَّيلَ عَنَا غَائِبٍ  
مَطْلَعُ الْبَدْرِ وَحِيَوْهُ مَعِي  
خَجْلًا مَمَنْ بَدَتْ فِي الْمَرْبِعِ

(يرقصون، والبدوية تنظر، وابن مياح مضطرب يروح ويجيء لا يدري ماذا يفعل.).

**البدوية:** شكرًا لكم يا رفاق، شكرًا، متعمق الله بطيب الحياة، وحماكم لوعة الفراق.  
**ريطة:** سيدتي! ما هكذا يكون الدعاء، ما خطبك؟!

**البدوية:** ادناو مني يا رفاق، خذوا هذا، وانصرفوا على بركة الله (تنثر عليهم نقوداً) ادعوا الله يستجب دعائي، عسى أن يتولاني برحمته، إن صوت الجماعة مجاب.  
**الجماعة:** آمين! آمين! (يقدم كل منهم منديله ينشره بين يديه وفمه ليتناول النقود في سقوطها).

**البدوية** (باضطراب وشك): من هذا المثلم؟ لماذا لا يدنو؟ حادثيه يا ريطه، (لا تنتظر) ادنْ منا أيها الفتى! ادنْ منا! هاتِ منديلك يا أخي.

**مياه:** لا حاجة بي إلى المال يا سيدتي.

**ريطة:** ولكن الأميرة تريد ذلك (تنظر فيه وتتمعن).

**مياه:** الأميرة!

**ريطة:** أتأبى كرامة الأميرة، أم تريد أن تخضبها؟ (لنفسها) هذي صورة الكبش في طيات عمامتها.

**مياه:** آه ... (يمد صوته في آه، وعند ذلك تكون ريطه تنطق بآخر جملتها السابقة) أغضبها (تغورق عيناه بالدموع) أغضبها! ما عشت لأنقضب أميمة.

**البدوية** (في أثناء ذلك تطل من النافذة): آه، مَنْ هذَا؟ أكاد أراه، أعاد حسين إلى الدنيا؟ إني أرى به شبح ابن عمِي.

**ريطة:** علىَ بأمير الزيوز (لا تنتظر دعوة ريطه)، هاتِ منديلك يا أخي (تنظر إليه بإمعان وحدة).

**مياه:** منديلي، ها هو ذا (يخرجه من جيبه، وقد تضرج بالدماء قليلاً، دماء جرحه القديم، وينشره بيده اليمنى على ذراعه اليسرى، بمعنى أنه ينشره، ثم يتلقاه على ذراعه اليسرى حتى يصبح صفحة واحدة، وإذا تنظر إليه البدوية تأخذ تمعن فيه).

**البدوية:** ماذا على المنديل أيها الأمير؟

**مياه:** اقرأي يا سيدتي.

**البدوية:** نعمة الحب يا حبيب فؤادي ... (تمسك عن القراءة فجأة، وتتأوه) آه! آه!

**ريطة** (بسرعة): غني يا مليحة، وارقصوا يا رفاق، هلم هلم! (ابن مياح يطوي منديله على الفور، وتأخذ فاطمة في الغناء والجميع في الرقص).

البدوية: حسين! حسين!  
ريطة: انصرفوا راقصين مغنين.

(يغنوون ويرقصون من باطن المسرح إلى خارجه حتى يخلو المسرح إلا من حسين؛ إذ يتأخر عنهم ... ولا يبطل الغناء ولا الرقص بمجرد خروجهم من المسرح، بل يظلون عليه مدة حتى يدخلوا غرفتهم، وعندئذ لا يسكتون دفعة واحدة؛ لأن انقطاع الصوت والحركة مرة واحدة يحدث في التمثيل فراغاً مكروهاً).

البدوية: حسين! حسين! أنت هنا يا ابن عمي! أفي الأحياء؟! يا رحمة الله ...  
حسين (يصعد الأحجار التي تحت النافذة مضطرباً، ويكمد يبكي): أميم. أميم.  
أنت التي تحدين أم أن ذاك صدى طيفك في فؤادي الكليم؟!  
البدوية: بل أنا بل عروسك يا حسين، أنقذني خذني إليك، ألقي إليك  
بنفسي أيها الحبيب؟

مياه: أجل، هأنذا، ألقِ بنفسك ولا تبالي.

ريطة: ما هذا يابني؟ ألا تخشى أن تسقط من يديك على الصخر؟

مياه: ويلاه!

البدوية: ساعديني أيتها الأم البارة، ساعديني وبرى بقسمك، لقد فتح الله باب  
الفرج فأفسحه لي ببديك.

ريطة: ليس هذا أوان الهرب، والطرقات غاصة بالناس، اصبري حتى يأذن الله.  
مياه: لقد نفذ صبري، نفذ صبري كما نفذ دمعي وزفير صدري، لقد نفذ مني  
كل شيء فلم يعد بي إلا اللحم والأرين، أعيني على اللقاء حبيبين قطع الدهر أو صالحهما،  
وعروسين منع القدر وصالهما.

البدوية: هل من سبيل إليه يا رطية؟

ريطة: كيف السبيل يا ابنتي؟! تدبري وانتظري ليلتين (إلى ابن مياح) يا ذا الفقار!  
مياه (بهذهة): يا ذا الفقار أتعرفني!

**ريطة:** اذهب من فورك إلى أبي علي بن الأفضل.

**البدوية:** من هو هذا؟ شريك المحرم.

**ريطة:** لا يعنك هذا، إنه أصدق أصدقائك.

**مياح:** أهو كذلك يا أميمة، (لريطة) أين دارهاليوم يا خالتاه؟

**الخليفة:** عند باب زويلة، اذهب إليه من فورك واتكل على الله، اذهب قبل أن يعود

**البدوية: لا تفارقني يا ابن عمي! لا تفارقني!**

**ريطة: آه! لعمري لتعملين على أن يقع ابن عمك في يد صاحب النومة، ثم ترينه مسفوك الدم قتيلاً.**

**البدوية:** صاحب النسمة! ويلاه. اذهب يا حسين، اذهب يا أخي، لا تعرّض نفسك للأذى من أجلي (هنا يسمع صوت المغنية عن بُعد، أي من داخل غرف الممثلين، ثم تتقدّم على مهل حتى تدخل المرسح في الموكب، فينزل ابن مياح متقدّهاً عن الصخر).

**مياه: داعاً (يعلى صوته)، داعاً يا أميمة. أميمة (ينضم إلى الموكب).**

**البدوية:** حسن! حسن! (تحتفى)، وتقفل بريطة النافذة).

(وصوت البدوية في حسين مسموع، كل ذلك قبل رجوع الموكب، ويكون انضمام حسين إليه ساعة دخول الراقصين).

## أحد الجمع: أين أنت يا أمير النیروز؟

میاح: هآنذا.

(على أحد الجمع أن يسأل سؤاله قرب انتهاء المغنية من الدور، فإذا نطق به ولم تكن قد أوشكت أن تنتهي، فليُعد مرة ثانية، وعلى ابن مياح أن يكون جوابه قبل انتهاء المغنية أيضاً، ولا يهمه سمع الجمهور أم لم يسمع، الغرض أولاً سبُك الحال وجعلها طبيعية؛ لأن مثل هذه المواكب لا تكون مرتبة كحفلات الكنائس، وإذا انتهت المغنية نظر ابن مياح إلى النافذة، وتأوه من نفس نغم المغنية وعلى ضربه مع الترقى، ويجب أن يتعلم هذه الآهات عن معلم موسيقى) آه، آه، آه (يخرج مع الجميع).



## الفصل الثالث

(يكشف الستار عن غرفة فسيحة في قصر الهودج، وهي منقسمة قسمين: القسم الأعلى منها رواق يفصله عن الأدنى – الردهة (أي مقدم المرسح) جدار عليه أعمدة متواصلة بعقود من البناء العربي، في وسطها باب عليه ستار عظيم، وفي وسطي الجدارين الأيمن والأيسر من الردهة عقدان من البناء، بعد كلٍ منها قبة تحتها باب، وهذا مدخلان لغرف بعيدة من القصر، والمكان مفروش بالبسط، وعلى جانبي العقدتين أبواب غرف، ويرى في الردهة مقعد ثمين، أمامه من اليسار طراحات، وفيه أدوات زينة عربية، وغير ذلك).

(يدخل الخليفة من باب الوسط، وهو في حالة تهيّج، ويذهب إلى باب مسكن البدوية، أي العقد الأيسر، ونسمييه بالثاني فيما يلي من الكلام، وهو مُرتد ملابس حمراء عليها دراعة بيضاء، وينادي).

**الخليفة: ريطة!** (يعود نحو المبعد يميناً) لعمري قد نفد صبري، إن هذه البدوية القدرة لا تهابني، **أنا** صلوك عربي حتى لا تسمع أمري ولا تطيع، ويل لها الليلة مني إذا أنا لم أبلغ مرامي منها، مضى دهر طويل وأنا صابر عليها صبر المحب لدلال المحبوب، عسى أن ترشد وتعلم أنني أنا الخليفة الذي لا مرد لقضائه، ولا دافع لقدرته، وهي لا تزداد إلا نفوراً مني، تؤثر على عبداً من أرخص عبيد بلادي، عربياً قدرأ يرضع النوق، ويأكل الشعير، ويشرب آسن الماء، تؤثر عشرته في ظل خيش مصفق على مجاورة أمير المؤمنين في هذا القصر الموطد المنيف! يا الله من عنت النساء (يجلس على المبعد،

وتدخل ريطة فتسالم سلام الجواري) ما وراءك يا ريطة؟ لعمري لقد كان يوم الشؤم يوم جئّتني فيه بخبر هذه البدوية.

ريطة: عفوك يا مولاي، ما كنت أحس بها خرقاء كمارأيت.

الخليفة: إذا كانت خرقاء فإن في القاهرة بيمارستاناً لأمثالها! أين هي الآن؟

ريطة: في مخدعها يا مولاي.

الخليفة: علي بها.

ريطة: سمعاً يا مولاي (تهم بالذهاب).

الخليفة: قفي! (قف) ألم تخبريها أني لم أعد أحتمل منها هذا الإباء ...

ريطة: لقد والله نصحتها، وأبنت لها أنها عمياً عن الخير الذي بين يديها، فلم تنتصح، فذكرت لها أنك أهدرت دمها إذا هي لم تذعن لمشيتك.

الخليفة: فماذا أجبت؟

ريطة: أجبت أنها ترحب بالموت الذي يحفظ عليها عفتها.

الخليفة: إني لا أريد أن أغلبها على عفتها ... أريدها لي زوجة!

ريطة: إنها ترى أن أباها قد عقد لها على ابن عمها، فإذا تزوجت منك كانت فاسقة.

الخليفة: ولكن ابن عمها قد مات.

ريطة: لم تعد تصدق هذا الخبر يا مولاي.

الخليفة: كيف؟

ريطة: لا أدرى، ولكنها تقول أنها رأته في المنام يحدثها بأنه حي لم يمت، وأنه لا بد آتٍ إليها، وأوصاها بالصبر حتى يعود، وهي الآن في انتظاره.

الخليفة: إذن فلن تكون لي زوجة، ستكون جارية (ينهض) بل دُوين الجارية، إذا أبى أن تكون عروس الشرع والسنّة، فلأحّي بها سنة الأقدمين، ولأجعلنها في الغد عروساً للنيل، علي بها.

ريطة: هذا خير ما تفعل يا مولاي، لعمري لئن لم تأخذها بالشدة لظنّك اليوم دون ما كنت بالأمس فاسترسلت في إبائتها واستحال عليك نيل المراد، هأنذا ذاهبة فأرني كيف تصنع (تخرج يساراً).

**الخليفة** (يروح ويجيء في الردهة): ليس هذا تدللاً بل مقتاً واحتقاراً وازدراء بتاجي وباسمي، صدقت تلك النُّورية لم تزدني هوادتي إلا ضعفاً ولم تزدها إلا تشديداً، سأريها اليوم مري كما أريتها حلوى، والله ل تكونن ...  
**ريطة** (تدخل): هذى هي يا مولاي.

(تدخل البدوية، وفي مشيتها خطوة الكبر وقلة الاكتراش، ثم تقف بالقرب من باب العقد الثاني).

**الخليفة** (يجلس): إلى أيتها الفاجرة.  
**البدوية** (تنظر): فاجرة!

**الخليفة**: تقدمي (تتقدم) الليلة فصل الخطاب بيّني وبينك، لقد أمهلتك إلى دهرًا طويلاً لكي لا يكون على حرج أن تكوني لي زوجة، فما زدت إلا نفورة مني وتعلقاً بخيال صعلوك، حتى حسبتني دون هذا الصعلوك مقاماً.

**ريطة**: حاسينيه وإلا قُتلت، قبل أن يأتيك ابن عمك (تخرج).

**الخليفة**: أجيبي، أنت ترين هذا الصعلوك خيراً مني؟

**البدوية**: لن يكون الصعلوك إلا صعلوقًا، ولا الخليفة إلا سيدًا.

**الخليفة**: فلماذا آثرت هذا الصعلوك على؟

**البدوية**: لم أؤثره عليك يا مولاي، وإنما آثرت نفسي؛ فطراة الله التي خلق الناس عليها، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

**الخليفة**: لم يستبن لي مرادك.

**البدوية**: أنت تعلم يا مولاي أن الإنسان يستمد سعادته في هذه الدنيا مما اعتاد، كالطفل يعتاد الثدي الذي يرضعه، فلا يؤثر عليه شيئاً من طيبات الدنيا؛ ولذلك تراه إذا فُطم يحزن لذلك ويأسى، ويملا الدنيا صياحاً ويأساً. للإنسان من أهله وصحابه ووطنه ودآبه وعرفه وأدبه عهدٌ متصل بدمه، عالق بنفسه ساكن في قلبه. قصة عزيزة عليه، هي قصة طفولته، ولذة صباها، وعزاه في كهولته، بل هي حياته كلها. فإذا أنت أرغمته على ترك هذا ونسيان ذاك، وقطعت ما بين ماضيه وحاضره، فقد مات يا مولاي موتة قلب وروح وفؤاد.

**الخليفة:** لم يفتني ذلك يوم غلب علي هواك فأخذتك إلى قصرى، ولكنى اعتمدت على الزمن في تسكين ثائرة نفسك، وتركتك اليوم عاماً أو يزيد؛ ل تستوي عهداً بعهد، وأرضاً بأرض، وقوماً بقوم.

**البدوية:** ولكن أي عهد هذا الذي اعتضته؟ عهد أقضيه في حسرة، ولوغة، وبكاء! وأي قوم رأيت لا أم لي فيهـمـ، ولا أبـ، ولا أختـ، ولا صديقةـ؟! لم يكن لي فيهـ يا مولايـ إلا الذكرى والحنين والحسـرـةـ؛ لأنـ انقطاعـ تلكـ المعاهـدـ عنـيـ قطـعـ عنـيـ صـلـةـ نـفـسـيـ بالـماـضـيـ، تلكـ الـصـلـةـ التـيـ يـحـسـبـهاـ إـنـسـانـ ضـمـيـنـةـ خـلـودـهـ فـيـ الدـنـيـاـ، أـفـتـكـرـ عـلـيـ أـنـ أـظـلـ فـيـ شـقـاءـ كلـ يـوـمـ، وأـرـجـوـ لـوـ أـنـنـيـ عـشـتـ فـيـ خـيـثـيـ بـيـنـ الـكـاسـرـ وـالـضـارـيـ، وـخـشـنـةـ عـيـشـ أـوـثـرـهـ عـلـيـ ماـ تـجـدـهـ أـنـتـ يـاـ مـوـلـاـيـ فـيـ هـذـاـ قـصـرـ مـنـ نـعـيمـ؟ فـأـنـتـ تـرـىـ يـاـ مـوـلـاـيـ أـنـنـيـ لـمـ أـؤـثـرـ عـلـيـ صـعـلـوـگـاـ أـوـ مـلـكـاـ، بلـ آثـرـتـ نـفـسـيـ بـالـرـغـمـ مـنـيـ، وـتـلـكـ فـطـرـةـ اللهـ.

**الخليفة:** أـنـكـهـ؛ إـنـ فـطـرـةـ اللهـ هـذـيـ فـيـ نـفـسـيـ أـيـضاـ، كـمـاـ فـيـ نـفـسـكـ.

**البدوية:** إـذـنـ فـأـنـتـ لـاـ تـحـبـنـيـ يـاـ مـوـلـاـيـ.

**الخليفة:** بـلـ أـحـبـ حـبـاـ أـلـيـمـاـ مـبـرـحاـ.

**البدوية:** لـنـ يـرـضـيـ المـحـبـ شـقـاءـ المـحـبـوـبـ، إـنـهـ لـيـفـدـيـ بـمـاـ يـحـبـ مـاـ يـكـرـهـ، وـيـؤـثـرـ نـعـمـاـهـ عـلـيـ نـعـمـاـهـ.

**الخليفة:** أـفـإـنـ كـانـ الـحـبـبـ مـخـطـنـاـ وـجـبـ عـلـيـ الـحـبـ أـنـ يـرـضـيـ لـهـ إـلـغـرـاقـ فـيـ خـطـأـهـ.

**البدوية:** كـيـفـ؟

**الخليفة:** إـنـكـ تـرـجـيـنـ أـنـ تـعـوـدـيـ إـلـىـ الصـحـراءـ، تـؤـثـرـنـ شـظـفـ العـيـشـ عـلـىـ الرـخـاءـ، وـالـحـبـ الـذـيـ يـرـعـيـ لـلـحـبـبـ نـعـمـاـهـ، لـاـ يـطـاـعـهـ قـلـبـهـ فـيـرـضـيـ لـهـ هـذـاـ. أـلـاـ تـرـيـنـ أـنـ الـأـبـ قـدـ يـمـنـعـ اـبـنـهـ شـيـئـاـ يـشـتـهـيـهـ وـيـلـحـ فـيـ طـلـبـهـ، رـعـيـاـ لـخـالـصـ مـصـلـحـتـهـ، لـاـ بـخـلاـ مـنـهـ وـلـاـ كـراـهـةـ؟ـ؟ـ

**البدوية:** بـلـ يـاـ مـوـلـاـيـ، وـلـكـنـيـ لـسـتـ طـفـلـةـ، وـقـدـ كـانـ فـيـماـ ذـكـرـتـ بـيـانـ. بـيـدـ أـنـ

خـطـأـيـ يـاـ مـوـلـاـيـ فـيـ دـمـيـ، وـلـنـ يـسـتـطـيـعـ الدـهـرـ مـحـوـهـ حـتـىـ يـمـحـونـيـ.

**الخليفة:** إـلـيـ أـيـتهاـ الـبـدـوـيـةـ، تـعـالـيـ أـصـارـحـكـ، أـرـيـكـ حـقـيـقـةـ هـذـهـ الدـنـيـاـ مـاـ دـمـتـ قدـ صـارـحـتـنـيـ، وـلـمـ تـؤـخـذـيـ بـعـرـفـ وـلـاـ بـهـيـبـةـ الـمـلـكـ الـذـيـ أـنـاـ فـيـهـ، وـلـمـ يـرـُعـكـ مـاـ فـيـ نـبـرـةـ صـوـتـيـ منـ قـوـةـ الـقـضـاءـ، تـعـالـيـ وـلـاـ تـفـزـعـيـ.

البدوية: سألك بالله إلا ما أقلتني سماع ما تريده.

الخليفة: أوَتُعرِفُينَ مَا أَرِيدُ؟

البدوية: كأنني لا أجهله يا مولاي؟!

الخليفة: إذن فقد كان احتجاجك غشاً لي وخداعاً.

البدوية: معاذ الله أن أخادع يا مولاي! إنما قلت ما أعتقد وما أشتاهي أن تكون عليه الدنيا، ولكنك تريد الآن أن تخبرني بحقيقة أخرى، وما أمرها حقيقة؟!

الخليفة: أتعرفين أن الحب الذي يذوب غراماً بمن يحب إنما يحب نفسه؟ يرى منه مشتهاه فيلح في طلبه؟

البدوية: أجل يا مولاي.

الخليفة: وتعارفين أن إثارة المحبوب على نفسه أو صبره لدلاله وهجره وبكائه لذله، إنما هو خطة احتيال يلجأ إليها يستعطفه بها حتى يحنو عليه فينال المحب قدسه بذلك؟

البدوية: أرى ذلك اليوم حقاً.

الخليفة: وتعلمين أن افتداءه بروحه إنما هو افتداء لقصده منه من حيث لا يدرى؟

البدوية: الظاهر كذلك يا مولاي.

الخليفة: وتعلمين أن الناس تسعى في هذه الدنيا وتجادل، وتتقاول من أجل ما ترى فيه القصد، وإنهم يحتالون لذلك من كل طريق على اختلاف درجات اقتناعهم بصواب الخطط الموضوعة والمشروعة؛ لكي يفوزوا بال الأربع الأخير من هذه الدنيا؟

البدوية: أرى كل ذلك يا مولاي.

الخليفة: وتعارفين أيضاً أننا نحن الملوك نقيد الناس بالشائع لكي يكف الناس عن الأذى والازدحام في طريقنا، ثم نكون فوق هذه الشرائع؟!

البدوية: هذا هو المشاهد يا مولاي.

الخليفة: وتررين أنني أنا الأمر بأحكام الله في هذه الدنيا، وأريدك لنفسي إرادة

العش الشستعر إلى الماء، ثم تؤملين الفكاك مني؟!

البدوية: حتى وإن كنت خليفة الرسول، وابن فاطمة البتول؟

**الخليفة:** حتى إن كنت كذلك.

**البدوية:** تريد أن تغلبني على نفسي بالرغم مني يا مولاي؟

**الخليفة:** هو كذلك، ولا مرد لما أريد.

**البدوية:** أنت وما ترى يا مولاي.

**الخليفة:** إذن فاسمعي، ستكونين الليلة أنيسة خلوتي، أعدى فؤادك لقبول هذا  
الإثم إن رأيته إثماً.

**البدوية:** سيكون لك ما تشتهي يا مولاي! تغلبني على جسماني هذا (تشير إلى صدرها وثدييها وعطفتها)، أما فؤادي (هنا يعلو صوت المثلة شيئاً فشيئاً لآخر الجملة)، وروحي. أما نفسي يا أمير المؤمنين فلن تغلبها على أمرها، ستفر منك يا مولاي إلى مولاك، تفر من الذلة والصغر، بتغفي دارها بين البررة الأطهار؛ فإذا دنوت مني تحسب أنك تجد تلك الفتاة البدوية الحرة، لم تجد إلا جثة هامدةً، وتراثب باردةً، سلام عليك (تخرج من الباب الأيسر الأدنى، وتظهر ربيطة تحت العقد الثاني الأيسر).

**الخليفة:** ما أشد غضبي وألمي! لعمري لقد أوشكت النفس أن تخلع منهاها، وتهم بالانتقام.

**ريطة (تتقدم):** هُون عليك يا مولاي!

**الخليفة (يلتفت):** أسمعت مقال تلك الفاجرة؟

**ريطة:** لم يفتني أن أقف على دخلية نفسها في كل حين يا مولاي.

**الخليفة:** وما رأيك في عنادها؟

**ريطة:** لا يهمك هذا يا مولاي، كل العذارى هكذا، تظل إحداهن على عهد من تحب  
حتى تتزوج آخر، فإن لم تننس الأول فإنها لا تأبى الثاني.

**الخليفة:** وأنت ترين أن أدخل الليلة بها؟

**ريطة:** ولا تردد.

**الخليفة:** ولكن الرجل لا يحب من شريكه إلا أن تكون كما يكون، فإذا أنا أقدمت  
الليلة على ذلك لم يكن لي منه إلا الألم.

**ريطة:** سينسيك اغتاباطك بها بعض هذا الألم فلا تتردد، إنه دواء لك ولها.

**ال الخليفة: إذن فأعدى الليلة شراباً وطعاماً، واجعلي القصر زينةً للدنيا، ومجنِّلاً للحبور، حتى أعود من القصرين.**

**ريطة:** لم يفتني ذلك يا مولاي، فلقد أرسلت إلى مدينة الفسطاط في طلب المغنيات والراقصات من فوري اغتابطاً بهذه الليلة، سترى يا مولاي أنني ما خبرتك إلا الحق، لقد رأيتها يا مولاي كما ولدتها أمها، فوالله ما وقعت عيني على أجمل منها.

**ال الخليفة (ينهض):** سنرى، سنرى، ونرى في جزائك في الصباح يا ربيطة (يتمنى صوب الباب الكبير الأوسط) إن خيراً فخير، وإن شرًا فشر (يتمنى ويصل إلى الباب).

**ريطة: خيراً إن شاء الله** (يخرج الخليفة، وتظل ربيطة تنظر إلى حيث خرج، وهي مأخوذة حقيقة) ستزف الليلة إلى العروس، ثم توارى في الغد جوف الرمous (هنا يدخل أبو علي متددًا من بين أعمدة العقد الأول الأيمن كأنه كان يسترق السمع) من هذا؟!  
**(بدهشة) أبو علي!**

**أبو علي** (يؤخذ كأنما أصابه خوف): ربيطة! أنت هنا؟! وافرحتاه!

ريطة: مرحباً بأبي علي.

أبو علي: أين مولانا أمير المؤمنين؟

**ريطة:** ذهب توا إلى القصرين، ألم تصادفه في الطريق؟

**أبو علي:** جئت من باب السر الذي تعلمين، ومن العجب أنني لم أصادف في طريقي حيًا؟

**ريطة:** كان بتلك الناحية جاريتان، ولكنني أسكنتهما الطريق الأسفل، وكفتهما بأمر الطعام، ولكن لماذا جئت من ذلك الباب؟

**أبو علي:** لقد كنت عزمت على أن أفاجئه الساعة، وجئت أتحقق أمر وجوده بمنفي، ثم أردت أن أعرف أبا القصرين جند أم لا؛ حتى يكون مساعي إذ ذاك مضمون النجاح.

**ريطة:** هب أنه كان يالدار أحد، فما كان جوابك؟

**أبو علي:** ليس لأحد من الجناد أن يسألني في ذلك، وأنا من الخليفة من أنا.

**ريطة:** هب أنه لاقاك وجهاً لووجه، فما كنت تصنع؟

أبو علي: أتراه كان يستریبني؟

ريطة: إنك تعلم أنه يستررتك، وإنما جئت من باب السر الخفي.

أبو علي: لقد حسبت أنه لا يكون إلا مع البدوية.

ريطة: أنت أيها الناس إذا عجزتم عن تدبير أمر كبير عليكم، أخذتم في سبيله تأتون أعمالاً مدهشة، وتدبرون تدابير خفية عنكم وعن الناس، تزعمونها رشاداً، حتى إذا اعترضتم فيها بأمر هين تورطتم، وانقلب عليكم سوء ما دبرتم. إني أحمد الله على أنك لم تَرْ سبيلاً إلى بلوغ قصتك، وإنما لتورطت وعرضت مشروعنا للحبوط، دعنا من ذلك بالله، لقد كنت تختلف علي تدبيري كله، اسمع لقد أشرت عليه الليلة بدخوله بالبدوية قسراً.

أبو علي: ويحك ريطة! كيف تغرينه بذلك وابن عمها في الأحياء؟!

ريطة: لم أجد لي من حيلة إلى دفع سوء ظنه بي وبصلاحتي لعاشرة البدوية، إلا أن أزین له ما كان ينوي.

أبو علي: والفتى؟

ريطة: لا يهمني هذا الفتى، كيف أستطيع أن أظفر بغيري إذا أنا لم أحصرها في مكان ضيق تصل إليها فيه يدي؟ ألم تتفق معي على ذلك؟

أبو علي: بلى، ولكنني وعدت الفتى أن أصون له البدوية حتى ترد إليه.

ريطة: سيكون ذلك إن شاء الله.

أبو علي: أخبرك متى يعود من مجلس الليل؟

ريطة: لعله لا يغيب طويلاً.

أبو علي: إذن فقد صح تدبيري، ولكن الذي يهمني الآن يا ريطة أن لا يسمع بقصتنا بعد انتهائها أحد، إني لا أريد أن أجعل منها حجة علينا لأنصاره.

ريطة: لم يفتني ذلك، إني سألقيه إليك لتضعوه يومئذ حيث تتضعون، وليتقول الناس في شأنه ما يشاءون.

أبو علي: هذا غاية المنى، والآن أسر إليك يا ريطة نبأ يطفر له قلبك فرحاً.

ريطة: عن ولدي؟

أبو علي: عن ولدك.

ريطة: أ جاء ولدي؟

أبو علي: أجل.

ريطة: كيف؟

أبو علي: ذهبت إلى منزلي فوجدته في فراشي!

ريطة: رباه ما لي بشكرك طاقة، أتراني أستطيع أن أراه؟!

أبو علي: آه! أخذ الدليل يضل ... فارقك الصواب يا أمامة.

ريطة: صدقـت صدقـت، سأراهـ عـما قـرـيبـ عـجـلـ الآـنـ هـاتـ فـتـيـانـكـ، أـخـبـرـتـهـمـ؟

أبو علي: كـيفـ لـاـ؟! أـحـدـهـ اـبـنـ مـياـحـ نـفـسـهـ.

ريطة: والباقي؟

أبو علي: من رجالـ ولـدـكـ.

ريطة: أـسـامـةـ فـيـهـ؟

أبو علي: أـسـامـةـ، لـعـنـةـ اللـهـ عـلـيـهـ! تـخـلـيـتـ عـنـهـ، وـأـوـصـيـتـ اـبـنـكـ أـنـ يـسـتـبـقـيـهـ بـجـوارـهـ

حتـىـ نـعـودـ إـلـيـهـ.

ريطة: وـلـمـ هـذـاـ؟

أبو علي: لقد عـاـوـدـتـهـ جـنـتـهـ الـلـيـلـةـ وـأـلـحـ فيـ أـنـ يـكـونـ معـنـاـ، فـوـعـدـتـهـ فـاسـتـحـلـفـنـيـ  
فـأـقـسـمـتـ، وـلـكـنـيـ اـحـتـلـتـ حـتـىـ خـرـجـتـ بـالـرـجـالـ دـوـنـ أـنـ يـرـانـيـ، مـنـ ذـاـ الذـيـ يـسـتـصـبـحـ  
مـجـنـوـنـاـ فـيـ عـمـلـ كـهـذاـ؟!

ريطة: أـنـصـفـتـ، وـلـكـنـ الـخـلـيـفـةـ قـدـ ذـهـبـ إـلـىـ الـقـصـرـيـنـ، وـأـشـفـقـ أـنـ يـعـودـ، وـمـعـهـ فـرـيقـ  
مـنـ رـجـالـ الـقـصـرـيـنـ، فـهـلـ أـخـذـتـ لـذـكـ الـعـدـةـ؟

أبو علي: لم يـفـتـنـيـ ذـلـكـ، فـإـنـ جـنـودـ وـلـدـكـ تـحـتـ المـظـلـةـ التـيـ تـشـرـفـ عـلـىـ النـيلـ،  
فـإـذـاـ بـدـاـ مـنـ رـجـالـهـ عـزـمـ لـإـنـقـاذـهـ انـقـضـ هـؤـلـاءـ عـلـيـهـمـ فـعـاـقـوـاـ النـجـدـ، وـقـضـىـ رـجـالـنـاـ هـنـاـ  
مـهـمـتـهـمـ.

ريطة: إذـنـ فـاـذـهـبـ، وـهـاـتـ لـيـ اـبـنـ مـياـحـ وـآـخـرـ مـعـهـ.

أبو علي: عـلـىـ الـفـورـ، سـلـامـ عـلـيـكـ (يـخـرـجـ، ثـمـ تـدـخـلـ الـبـدـوـيـةـ فـيـ حـالـةـ ذـهـولـ، وـرـيـطـةـ  
تـرـاقـبـهـاـ).

ريطة: مرحباً يا بنتي مرحباً، لماذا جئت؟

البدوية (في حالة حزن شديد): جئت أعد نفسي لحفلة عرسي كما أمر الخليفة بذلك.

ريطة: أي عرس هذا يا ابنتي؟

البدوية: خير ما تمنت النفس يا ربيطة.

ريطة: ما تمنيت إلا ابن عمك يا أميمة.

البدوية: وهو الذي من أجله أعد نفسي، هلم هات الشموع، ثم هاتي ملابس أبي هاتي لباس البدوية، وخذلي عني هذه الحرائق.

ريطة: ما هذا يا ابنتي؟

البدوية: ويحك! لماذا لا تطيعيني؟

ريطة: وي ... ماذا أصابك؟

البدوية: ما أصابني شيء أيتها الخائنة، إنني بخير والحمد لله.

ريطة: ويحي! لقد أسلمت الفتاة زمام أمري إذ أفضيت إليها بسري، ما الحيلة؟

ما العمل؟ عرس ابن عمها، وأين ابن عمك الآن، ولن يأتي لك إلا الخليفة؟

البدوية: لن يدخل الخليفة إلا على ميت لا حس فيه ولا حرak، أجل إنني سأزف إليه يملأ عينه من حسني، ثم إذا دنا مني لم يدُن إلا من طيف خيال، ووهم مجسم قد استحال، هلم هاتي ملابسي التي خرجت بها من ديار أبي، ملابسي التي عانقني فيها ابن عمي حتى أسبقه فيها إلى جنة رضوان.

ريطة: ولكن يا ابنتي ...

البدوية: ماذا؟

ريطة: لن يكون ذلك، إنني أحاذر غصب الخليفة، لقد أمرني أن أجلوك أبهى مجل، فإذا أنا قصرت في ذلك استرابني، ولم أستطع يومئذ أن أكون في جوارك أعمل على البر بقسمي.

البدوية: أي قسم هذا؟ ما أسرع الناس إلى القسم! لقد أقسمت أن تنقذيني من الرجل، وأقسمت أن تجمعي بيدي و بين ابن عمي في ليلتين، ولا صدق هذا ولا ذاك.

ريطة: الأمور رهينة بأوقاتها يا أميمة.

البدوية: وما ينفعني الانتظار؟ وهذا سيدك قد أوشك أن يبغي علي.

ريطة: لن يبغي عليك يا أميمة، اطمئني.

البدوية: كيف أطمئن وأنا الليلة من القبر قيد ذراع؟

ريطة: بل أنت من السعد والحياة قيد شعرة.

البدوية: أحق ما تقولين؟ أم أنه وعد لا يكلفك إلا الكذب.

ريطة: بل هو الصدق الذي ليس وراءه صدق، وأقسم على ذلك.

البدوية: ولماذا لم تخبريني به من قبل؟

ريطة: ما زعمت أنه محقق إلا الساعة، جاءني أبو علي بعد أن ذهب ظالمك، وتم الاتفاق على الأمر، ولو لم تتعجلي لبلغتك البشري، ولكنك لم تدعوني لي إلى الكلام سبيلاً.

البدوية: معذرةً يا ريطة معذرةً (تسعى إليها وت بكى على كتفها) معذرةً، قد يخرج إليأس بصاحبه إلى الجنون، فاعذرني اغفرى لفتاة تتذكر لها الرجاء، حُرمت أباها وزوجها، وترى الشقاء بعينها، اغفرى لي يا ريطة، وتحنني علي.

ريطة: لقد والله عفا عنك قلبي يا أميمة، أنا أعرف ما أنت فيه، ولكن يجب عليك أن تلبسي الآن أخر ما أعددت لك من ملبوسي حتى لا يستربيني الخليفة.

البدوية: أيجيء ابن عمي الليلة؟

ريطة: أجل.

البدوية: أتریدين أن يراني في ملابس خلعاها على الخليفة؟

ريطة: كلا، ولكن ما الحيلة فيما نحتال إليه؟

البدوية: لقد عشقني الخليفة في ملابس البدو، ولن يراك إن زففتني إليه فيها إلا محسنة.

ريطة: قد يكون ذلك، ولكنه أمرني بما ذكرتُ، فلا تتشبثي بأمر لا ضرر فيه.

البدوية (تفكر قليلاً وتسكت كمن جاءته فكرة خاطرة): لا بأس لا بأس، هلم، ولكن خبريني كيف يأتي إلى ابن عمي (تجلس).

ريطة: لا يعنيك هذا، هذا تدبير بيني وبين أبي علي، حسبك أن يأتي ابن مياح إليك يحملك بين ذراعيه إلى خيمة أبيك في الصعيد.

البدوية: خيمة أبي! خيمة أبي! واحسرة النفس عليك يا أبي! واحسراها!

ريطة: لا داعياليوم للحسرة يا أميمة، إن أباك حي لم يمت.

البدوية: حي لم يمت! (تنهض) لم يقتل!

ريطة: بل إنهاليوم في القاهرة.

البدوية: في القاهرة؟!

ريطة: وفي بيتالأميرأبي علي نفسه.

البدوية: وافرحتاه! من لي برؤيةأبي يا ريطة؟!

ريطة: سترينالليلة يا أميمة، سترينه فلا تتعجل.

البدوية: أقبلك يا ريطة، أقبلك (تقبلها) متى عرفت ذلك؟

ريطة: الليلة من أبي علي، وقد كان يريد أن يحضر مع الحاضرين، فأقاله أبو علي

اكتفاء بجنود ولدي.

البدوية: جنود ولدك؟ (تجلس).

ريطة: أجل، ألم يجيء ولدي؟

البدوية: جاءالأميرحسن؟

ريطة: أجل، ليلبس التاج في الغد.

البدوية: هنيئاً لك يا ريطة، اللهم أفرح قلبه بما أفرحتني!

ريطة: شكرألك يا أميمة شكرأ، هلم بنا نعد ظاهر أمرنا، وثقي بالله وببي.

البدوية (تنهض): أزل اللهم سحابة هي وأمن خوفي، اللهم إني أسلمت إليك

أمري، أنت نعم المولى ونعم النصير.

ريطة: أمين! هلم (تقدماها).

البدوية:

إني شربت كؤوس الصبر أجمعها

ريب الزمان فأخشى هذه الآنا

وذقت مر هموم العيش ألواناً

لم يبق في القلب ركن لم يلِمَ به

(تخرج هي وريطة ويدخل أبو علي يتبعه ابن مياح، وقد أزاح اللثام عن

وجهه).

**أبو علي:** إن هذا المكان رهيب يا ابن مياح، أخشى أن تأخذك هيبة الخلابة فتنكس على أعقابك.

**مياح:** لن يكون هذا المكان أرعب من ساحة الشيخ، ولا وجه الخاسر أهيب من وجه الأفعوان الذي أدخلوني عليه في السردار، فقتلته بهذا السيف الذي باركه الشيخ المبارك.

**أبو علي:** صدقت، ولكنني لا أكاد أرى وجه عذرك إن لا نعززك بجنب.

**مياح:** لن يكون الرجل أجلد مني قلباً، ولا أقوى نفساً، جئت أشد عرضي، وأطلب ثأري، وأنشد من أحب، أنقذها من براثن فاسق كفور. بيد أنني أقسمت للشيخ الذي أمندي بروحه، وباركتني برకته، أن أكون وحدي، وما يحث العربي بيمين.

**أبو علي:** أنت وشأنك، ولكن اعلم أنني سأعد خمساً من رجالي عند الباب، فإذا لم تظرف بغريريك فإني على مسمع الهمس منك (يذهب إلى باب غرفة ريطة) ريطة.  
**ريطة (من الداخل):** لبيك.

**أبو علي:** هل (إلى ابن مياح) ستأخذك الآن ريطة إلى مستقرك حتى تدعوك، فإذا ظفرت بفريستك وألقيت الصيد إلينا تفتحت لك أبواب القصر، وإلا فهو موصد دونك حتى القبر.

**مياح:** على الله الاتكال.

**ريطة (تدخل):** سلام يا ابن مياح.

**مياح:** وعلى أم الأمير السلام.

**أبو علي:** أقسم ابن مياح لشيخنا المبارك أن يكون وحده في هذه المهمة، وما نطيق أن يحث بيمنيه، وسيتولى الأمر بنفسه، ولكننا لدى الباب، فخذيه إلى حيث يرتفب.

**ريطة:** لا بأس بذلك، هل يا ابن مياح.

**مياح:** أستطيع أن أرى ابنة عمي؟

**ريطة:** لا تراها حتى تغمض عين الخاسر، إن المحب إذا التقى بمن يحب نسي الدنيا ومن فيها.

**مياح:** لكن بي ظمأ إليها يا حالة.

**ريطة:** أروه منها يوم أروي أنا ظمائي، هلم (تدخل به من باب الغرفة اليسرى).  
**أبو علي:** لقد آن أن أنتقم منك يا قاتل أبي، وأنقع غلتي من دمك، ولكن لا بد لي من أن أتفقد ذلك الجناح لطمئن النفس، من يدرى رطبة؟ لعل به جندًا وحراسًا، وهي لا تدري (يخرج من الباب الأوسط، ثم يدخل أساميَّة كما رأيناها في الفصل الثاني من تحت العقد الأيمن).

**أسامة:** ما هذا المكان يا ترى (يلتفت، ويذهب هنا وهناك، ويستمع) ما للقصر حالٍ من الناس؟! أليكونون نياً؟ كيف ذلك ونحن بعد العشاء بقليل؟! بيد أني لا أسمع تهويماً ولا زفيرًا، أم إنه لم يجعل في خدمة ابنتي أحدًا من القصرين كما خبروني؟ ولكن أين ابنتي، وأين الخاسِر؟ أ تكون في هذا المكان (يتقدم نحو اليسار، ويستمع) أدخل أم أني مجازف! لا تجمل المجازفة الآن؛ إني من المقصود قاب قوسين أو أدنى، خطواتي اليوم ثمينة، فإذا أسرفت فيها أسرفت في حياة ابنتي، ويل لأبي علي لقد وعد أن يجعلني في زمرة ابن نزار، ثم هرب مني قبل صلاة العشاء، ولكنني عرفت السبيل، عرفت السلم الخفية التي كان يصف مكانتها لابن نزار، هداني الله إليها، ثم فتح لي بابها ليهون علي أمرى، ولكن ماذا أفعل؟ لن أخرج من هذا القصر إلا قاتلاً أو قتيلاً، أريد أن أنتقم، أريد ابنتي (يذهب صوت الأبواب) أ تكون هنا (يستمع) إني لا أسمع في المكان صوتاً (يصفي بإمعان)، بل أسمع همساً، وجلةً بعيدةً، ويل لأبي علي؛ هو الذي الجاني إلى السير على غير هدى، ولكن خاب فالله سيكون الجنون أول ضارب، سأكون أول منتقم آخر ثأري أولاً، ثم ليأخذوا الثأر بعدي (يسمع صوت عود بعيد جداً) هذا صوت عود يدنو (يلتفت صوت الباب)، واحسراه! هنا عزف وددن، وفي الباذية نحيب وحزن، هنا ببل يشدو، وهناك يوم ينعب، يا الله إنهم يدانون، أين أختبئ حتى أرى وأتبين؟ أين أختبئ عن العيون؟ (يقرب الموكب بالعود والرق) أذهب هنا؟ (يسير إلى اليسار، ثم يعود) هنا (يدنو من الباب الأدنى الأيمن، ويفتح الباب قليلاً، ويستمع) لا أحد (يدنو العزف، والدق ... إلخ) لقد دنوا فلا دخل والله الحارس.

(يلتفت وراءه، ثم يدخل الموكب وفيه البدوية في الوسط، وقد ترددت بملابس زاهية، ووراءها المغنيات، والعوادات، والرقصات، وتتقدمها الرقصات صفين: صف يسير إلى اليمين، وصف إلى اليسار، واحدةً بعد أخرى، وتسير البدوية، ومعها رطبة حتى تصل إلى المقعد، فتقف رطبة إلى يمينها، ثم يأخذ صف الرقصات الأيسر في الرقص بلا انتظار، وكلما خرجت منه واحدة

خرجت أمامها واحدة من الصف الأيمن، ويجلس المغنيات والمعوادات في المنتصف، ودارت الراقصات حولهن، والبدوية في أثناء ذلك تنظر غائبة الفكر، وقد تمسح عينها مرة أو مرتين أثناء الرقص، وتتأوه مرة أو اثنتين، وهي في أثناء ذلك كله حزينة بادية الحزن بلطف، فإذا انتهى دور الرقص دخل الخليفة فنهضت المغنيات، وركعن تحية، ونهضت البدوية، أما أدوار الغناء فهي كالتالي:

يا غصين البان      شف قده العالي  
مليك في البستان      ما عاد يحلالي

\* \* \*

محبوبني نشوان      من مدام ثغره  
وقدميشه ولهاه      بنهوده وخصره

\* \* \*

يا فؤادي حاسب      على روحك، واحذر  
م العين وال حاجب      والخد الأحمر

\* \* \*

إن تكن مفتون      ومرادك تشفي  
لما العين تغفى<sup>١</sup>      كل شيء يهون

**الخليفة:** عمي مساء يا أميمة.  
**البدوية (تنكس رأسها):** عم مساء يا مولاي.  
**الخليفة:** ألا تزالين على عهلك يا أميمة؟

<sup>١</sup> تولى تلحين هذه الأغاني والتي سبقتها، الأستاذ الموسيقار الكبير الشيخ سيد درويش.

البدوية: لم يزل بي ما تركتنى عليه.

الخليفة: ولكنك قد وعدت أن تجبييني إلى طلبتى.

البدوية: لقد أمرت يا مولاي، وما على إلا الطاعة، أما الرضا فليس في المقدور.

الخليفة: لماذا بطل الغناء يا ريطه؟!

ريطة: إلى الرقص يا فتيات.

(تعود المغنيات إلى الغناء، والراقصات إلى الرقص، والخليفة جالس يحادث  
أميمة، وكأنه قد زاد به اللجاج، فنهض وأخذ يهدى، فلا ينقطع الغناء ولا  
الرقص، حتى يخاطب الخليفة المغنيات في ساعة غضبه.)

الخليفة: أبطلن هذا، وانصرفن انصرفن، لا أريد رقصًا ولا غناء (تنصرف المغنيات،  
والراقصات جميعهن، ولا يبقى مع الخليفة والبدوية إلا ريطه) أيتها الفاجرة! لم يبق في  
قوس الصبر منزع ... ريطه!  
ريطة: مولاي!

الخليفة: خذيهما إلى مخدعها، عجي (يسير في المكان ذهاباً وإياباً).

ريطة: انهضي يا أميمة ما لك حمقاء؟! أما ترين السيف معلقاً في الهواء؟! أنت  
الآن على أبواب السعد يا سيدتي، فلماذا توصدينها ببديك؟! انهضي، أفرحي، واطمئني،  
وثقي بالله وبّي.

البدوية (تنهض وهي في حالة ذهول): هلم هلم، إلى مخدعي! إلى مخدعي! لقد  
فرج الله عنّي، تفتحت لي أبواب الرجاء، وأرى الملائكة تدعوني إلى السماء، هذا خيال ابن  
مياه يرقبني (تنظر إلى ابن مياح، وقد بدا تحت العقد الأيسر)، وهأنذا في السبيل إليه  
(تمد ذراعيها، وتسيّر كأنها مجونة صوب العقد الأيسر) حسين! حسين!

مياه (يظهر لها): أجل، أجل، في السبيل إلى (يتقدم منها ويأخذها).

البدوية: آه! (تسقط مغشياً عليها، فيجلسها على المبعد ويتركها، ويذهب إلى  
الخليفة مسرعاً).

الخليفة: ما هذا؟! من هذا يا ريطه؟!

مياح: انظر وتذكر! انظر حسين بن مياح (يرفع اللثام عن وجهه).

ال الخليفة: النجدة! النجدة!

مياح: لن ينقذك اليوم منقذ (يهجم عليه ويقبض على رقبته ويجالده حتى يسقط الخليفة).  
ال الخليفة: آه، آه، النجدة (يخرج أسامة من غرفته، ويأخذ يلتقط، وإذا يرى الخليفة ساقطاً فوقه رجلاً مجهولاً، يهجم عليه بالسيف).

أسامة: من ذا يغلبني على فريستي ... إليك (يدفع ابن مياح بيديه).

مياح (يقضي على رقبة الخليفة، وهو ملقى، ينظر إلى القادر، وإذا يرى عمه يصبح): عماه! عماه!

أسامة: حسين! أنت! انتقم يا بني!

ال الخليفة: الرحمة! الرحمة!

مياح: هذا جزاء الظالمين.

أسامة (يقتله معًا): ثأري، ثأري (ثم يعانق ابن مياح، ويتقدم ابن مياح إلى البدوية وأسامة ينظر إليهما).

مياح: أميم! أميم! انهضي آن أن أضنك إلى صدري.

(ينهضان)

البدوية: حسين! حسين!

مياح: لبيك، هأنذا.

البدوية (تفتح عينها فترى شبحه فتبعد عنه قليلاً، وتمسك بكتفه بذراعين ممدودتين، وإذا تتأكد أنه هو تلقي بنفسها عليه): حسين! حسين! يكونأسامة في أثناء ذلك واقفاً يتربى، يريد القرب من ابنته، ثم لما يراها بين ذراعي زوجها يحجم، ولكنها في أثناء العناق ترى أباها فتبعد عن حسين، وتذهب إليه) أبي! أبي!

أسامة (بصوت مختنق بالعبارات): ابنتي! (يتقدم منها ويحتضنها) أميم! أميم!  
لقد ظفرت بمناي وتأثرت لنفسي.

(هنا يدخل أبو علي وبعض الجن، وتدخل ريهة من حيث خرجت.)

ريطة (من جانب): مرحى! مرحى!  
أبو على (من جانب): مرحى! مرحى!

البدوية: إليك عنِي يا ملابس الخنا، إليك، هأنذا كما أتيت (تخلع لباس العرس،  
وتظهر بملابسها العربية التي رأيناهَا أول فصل، فإذا رآها أبوها وابن مياح ناديا).  
أسامة: إلى الصحراء! إلى الصحراء!  
مياح: إلى الصحراء! إلى الصحراء!  
الجميع: إلى الصحراء! إلى الصحراء!

(يأخذأسامة بيد البدوية اليسرى، ويأخذ ابن مياح بيدها اليمنى، ويستعرضان  
المرسح، والسيف في أيديهما، ثم يتقدرون ويخرجون).

يسدل الستار



